القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

آدم وحواء

1

عبد الحميد جودة السحار

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

القصص الديني

آدم وحواء

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أخذت مكتبة الطفل فى السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها فى جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجمًا أو معربًا .

وفى القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه فى مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا فى هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هى المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن فى هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثانى : أن نحقق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية وينمى الذوق الأدبى .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هى الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهى خاصة بقصص السيرة - سيرة الرسول ﷺ . وظهرت فى أربعة وعشرين جزءا ؛ وأما الحلقة الثالثة فهى خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت فى عشرين جزءًا ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية فى جميع العصور .

وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذى اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والله ولى التوفيق .

المؤلف

١

فى زمانٍ قديم ، قديمٍ جدًّا ، لم يكن يعيشُ على هذه الأرض ، الَّتى نعيشُ عليها الآن ، أحدٌ يُعمِّرها ، فأراد اللَّه سبحانه وتعالى ، أن يخلُقَ الإِنسان ليعبده ، وليعَمِّرَ الأرض ، فيزرَعَها ، ويبنىَ فيها البيوت ، ويخطَّ الطرقات ، فقال لِلملائكة :

﴿ إِنِّى جاعِلٌ فى الأرضِ خَلِيفَة ﴾ .

قالوا : ﴿ أتجعَلُ فيها مَن يُفسِد فيها ، ويَسْفِكُ الدِّماء ، ونحنُ نُسَبِّحُ بحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَك ؟ ﴾

قال : ﴿ إنى أعلمُ ما لا تَعْلَمون ﴾ .

فسكت الملائكة ، وقال بعضُهم لبعض :

ـ إنَّ ربَّنا يَعلمُ كلَّ شىء ، ولا يَخلُقُ خَلْقًا إلا إذا كانَتْ له فائدة .

٢

قال اللّه لِلملائكة : « إنِّى خالِقٌ بَشَـرًا مِنْ طـين ، فـإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْـتُ فيــه مِــنْ رُوحــى فَقَعُـوا لــه ساجدين » .

قالت الملائكة : لَكَ السَّمعُ والطَّاعةُ يا رب .

ولكنَّ إبليس ، لم يُعْجبْهُ هذا ؛ لأَنَّهُ كـانَ مَغـرُورًا ، وكان يعتَقِدُ أنَّهُ أفْضَلُ مخلوقاتِ اللّه .

ونفخَ اللّه فى آدمَ من رُوحِــه ، فصـارَ إنسـانًا حَيًّـا كاملا ، عندئـذٍ سَـجَدَ الملائكـةُ لآدمَ إلاَّ إبليـسَ أَبَـى واسْتَكْبَرَ وكان مِنَ الكافرين ، فقال له اللّه تعالى :

﴿ ما مَنَعَكَ أنْ تَسْجُد إذْ أمَرْتُك ؟ ﴾

قال : ﴿ أنا خَيْرٌ منه ، خَلَقْتَنى مـن نـار ، وخلقْتَـهُ مِنْ طين » .

فغضب اللّه عليه ، وطَرَده مِنَ الجنّه ، وقال له :

﴿ فاهْبِط منها ، فما يكون لكَ أنْ تَتكَبَّرَ فيها ﴾ .

قال إبليس :

- يا ربِّ ما دمتَ قدْ طردْتَنى مِنَ الجَنَّةِ بسببِ آدمِ ، فإنّنى سأُوذيه هو وأولادَه ، وأُعلِّمُهُم الشَّرَّ والخُبْث .

قال اللّه تعالى :

- إنّى أعطيتُ آدم وأولادَه العقل ، الذى يَعرفون به الخيرَ مِنَ الشّر ، فالّذى يُطيعُك منهم بعد ذلك هوَ الْمسئُول عن نفسه ، أمَّا العاقلونَ الصَّالِحونَ فَلنْ تَستطيعَ أنْ تُؤذِيَهم أبدًا .

٣

وأراد اللّه أن يُعرِّفَ الملائكةَ أنَّ آدمَ يعرفُ أكثر منهم ، وأنَّ الإِنسانَ مُكرَّمٌ عِنْدَ اللّه ، فأحضرَ لهُمْ مِنَ

الأَرضِ أنواعًا من الحيوانِ والطَّيْرِ ، ثم عرضَها عليهم ، وقال لهم :

« أنْبِئوني بأسماءِ هَؤُلاء (يعني أخبروني بأسمائها) إن كنتم صادقين .

قالوا : سُبْحانَك ! لا عِلْم لنا إلا ما علَّمْتنا ، إنكَ أنتَ العَليمُ الحكيم .

قال : يا آدمُ أنْبِئْهُمْ بأسمائِهم » .

فأخذ آدمُ يذْكر اسْمَ كلِّ حيوانٍ يُعرَضُ عليه ، واسمَ كلِّ طيْر .

﴿ فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ، إنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّموات والأرض ، وأعلَمُ ما تُبْدُونَ وما كُنْتُم تكْتُمون ؟ ﴾ .

وأسْكَنَ اللّه آدمَ الجنّة ، فكانَ يَعيشُ فيها وَحيدًا ، يأكُلُ مِنْ فاكِهتِها ، ويَشْربُ مِن أنهارِها ، وَلكِنَّهُ لا

يجدُ أحدًا مِنْ جنسهِ يُكَلِّمُه ، ويأتنِسُ به ، فأشْفَقَ اللّه عَليه ، وأرادَ أنْ يخلُقَ له زوجًا من جنسهِ تعيشُ مَعَهُ .

ونام آدمُ ثم صحا ، فوجد امـرأةً لم يَرَهـا مـن قبْـلُ تجلِسُ قُرْبَه ، فَنظرَ إليها وهو مدهوش ، وقال لها :

ـ مَنْ أنت ، وما اسْمُك ؟

فقالت له : أنا امرأة ، ولكنِّى لا أعرفُ اسمى .

ونظرَ إليها مسرورًا ، فرآها تَتَحرَّك ، وفى جِسْمِها حياة ، فقال :

ـ أنتِ حَوّاء .

وجاءت الملائكة ، ورأوْا أنْ يسألوه عنها ، ليعرفُوا مقْدارَ عِلْمِه ، فقالوا له :

ـ ما اسمُها يا آدم ؟

فقال لهم : حواء .

وعاش آدمُ وحواءُ فى الجنّةِ سعيدَيْن ، فى أمْنٍ وسلام ، لا يعرفانِ تعبًا ولا خوْفًا ، يأكلانِ ويشربانِ كلَّ ما يشتهيان .

٤

قال اللّه لآدم :

﴿ يا آدم ، اسكنْ أنتَ وزوجُكَ الجنّة ، وكُلا مِنها رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُما ، ولا تَقْرَبا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكونا مِنَ الظّالِمين ﴾ .

وقد سَمَحَ اللّه لهُما أنْ يأكُلا من جميعِ الأشجارِ إلاّ شجرةً واحدة ، وذلك لِيُعلِّم الإنسانَ أنْ يُمْسِك نفْسَه ، ويقوِّىَ إرادته ، فسمِعا كلامَ اللّه ، وعاشا فى الجنّة ، يَتمتّعان بالسعادة .

وحذّرَ اللّه آدمَ من إبليس ، لأنَّ اللّه كان يَعلمُ أن إبليس يكرَهُهُما ، ولا يُحِبُّ لهما الخير .

فقال له :

﴿ إنَّ هذا عدُوٌّ لَـكَ ولزوجِـكَ ، فـلا يُخرِجَنَّكُمـا مِـنَ الجنَّـةِ فَتَشْـقَى ، إنَّ لَـكَ أَنْ لا تَجُـوعَ فيهـا ولا تَعْرَى ، وأنكَ لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى ﴾ .

بَقِيَ آدمُ وحواءُ فى الجنَّة ، وبقى إبليسُ يحاولُ أنْ يَصِلَ إلَيْهِما ويُغْوِيَهُما .

وفى مرة تمكَّنَ من الوُصولِ إليهما ، فقال لهما :

﴿ يا آدم ، هل أدُلُّكَ على شجرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى ؟ ﴾

فنظرَ آدمُ إليه مُسْتفهما ، فأشارَ لـه إبليـسُ إلى الشجرةِ التى نَهاهُما ربُّهما عنْ أن يَقْرَباها .

فلم يسمعْ آدمُ إليه ، ولكن إبليـسَ لم يَيْـئَس ، بـل قالَ له :

﴿ ما نَهاكُما رَبُّكُما عنْ هَذه الشجرة ، إلاّ أنْ تَكُونا مَلَكيْن ، أو تكونا مِنَ الخالدين ﴾ .

فابتعدَ آدمُ عنه ، ولم يسمعْ إليه .

فأسرعَ إبليسُ خلْفَه ، وأقسمَ له باللّه قائِلاً :

﴿ إنِّى لَكُما لَمِنَ النّاصِحِين ﴾ .

فلما حَلَفَ إبليسُ باللّه ، قالَ آدمُ وحواءُ فى أنْفُسِهما : لا يُمكِنُ أنَّ أحدًا يحلِفُ باللّه وهو كاذب ، فلا بُدَّ أنه صادقٌ فيما يقول .

ثم أكَلا مِنَ الشجرةِ التى نهاهُما اللّه عنها .

فبمُجَرَّدِ أنْ وَصَلَت الثّمرةُ إلى جوْفِهِما ، نظر كلٌّ منهما فوجدَ جسْمَه عُريانا ، فخجلا خَجَلاً شديدًا ، وأخَذا يَقْطعان أوراقَ الموْزِ العريضةِ لِيَسْتُرا جَسَدَيْهما من الخِزْى ، وهَرَبا بعيدا خَجَلاً مِنَ اللّه ؛ لأنّه يراهُما ويعرفُ أنهما خالَفاهُ وأكلا

مِنَ الشَّجرةِ المحرَّمَة .

فلما رأى اللّه آدمَ يَهرُبُ من أمامِه ، قال له :

- يا آدم ، أمِنّى تَفِرّ ؟

قال : لا يارب ، ولكنْ حياءً منك .

فقال اللّه له :

﴿ ألم أنْهَكُما عن تِلْكُما الشَّجرة ، وأقُلْ لَكما : إنَّ الشَّيطانَ لكُما عَدُوٌّ مُبين ؟ ﴾

فقال آدم وحواء :

- سامِحْنا يا رب ، اغفِرْ لنا .

قال لهما : أمرتُكما فعصيْتُما أمْرِى .

فقال آدم وحواء :

﴿ ربَّنا ظَلَمْنا أنفُسَنا ، وإنْ لَمْ تغفرْ لَنا وتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين ﴾ .

فقال اللّه لآدم :

- أعطيتُكَ الجنّة ، وأعطيتُك كل ما تشاء ، أما كانَ الّذى أعطيتُك يَكْفيكَ عنْ هذه الشجرة ؟

فقال آدم :

- وعزّتِك ما حَسِبتُ أنّ أحدًا يَحلِفُ بِكَ كاذبا .

فقال اللّه له :

- فبِعزّتى لَتَهْبِطَنّ إلى الأرض ، فلا تنالُ العيش إلاّ بالتعبِ والعَرَق .

ثم قال اللّه لآدمَ وحواءَ وإبليس :

﴿ اهبِطُوا بعضُكُمْ لِبعضٍ عدُوٌّ ولَكُمْ فى الأرضِ مُسْتَقَرٌّ وَمتاعٌ إلى حين ﴾ .

وحزِنَ آدمُ حُزنًا شديدًا ، لغضب اللّه عليه ، وطردِه من الجنة ، فأخذَ يبكى من الندم .

فألهمُه اللّه أن يقول :

ـ ربِّ اغْفِر لى ، ربِّ اغْفِر لى .

عِندئذ تابَ اللّه عليه ، وغفَر له ، وسامَحه .

القصص الديني

الحلقة الأولى ـ قصص الأنبياء (بالاشتراك مع سيد قطب)

(١) آدم وحواء
(٢) قابيل وهابيل
(٣) سفينة نوح
(٤) إرم ذات العماد
(٥) ناقة صالح
(٦) إبراهيم يبحث عن الله
(٧) فداء إسماعيل
(٨) يوسف الصديق
(٩) تحقيق الرؤيا
(١٠) مدين وشعيب
(١١) موسى والعصا
(١٢) موسى والألواح
(١٣) موسى والرجل الصالح
(١٤) داود
(١٥) سليمان وبلقيس
(١٦) عيسى بن مريم
(١٧) أهل الكهف
(١٨) قدرة الله

الحلقة الثانية ـ قصص السيرة :

(١) هاشم بن عبد مناف
(٢) عبد المطلب جد النبى
(٣) عبد الله وآمنة
(٤) مولد الرسول
(٥) حليمة السعدية
(٦) اليتيم
(٧) خديجة بنت خويلد
(٨) الوحى
(٩) المسلمون الأوائل
(١٠) الاضطهاد
(١١) الهجرة إلى الحبشة
(١٢) أيام الشدة
(١٣) الهجرة
(١٤) غزوة بدر
(١٥) غزوة أحد
(١٦) الخندق
(١٧) صلح الحديبية
(١٨) الدعوة إلى الإسلام
(١٩) فتح مكة
(٢٠) غزوة حنين
(٢١) غزوة تبوك
(٢٢) حجة الوداع
(٢٣) النبى الصالح
(٢٤) وفاة الرسول

الحلقة الثالثة ـ قصص الخلفاء الراشدين :

(١) أبو بكر خليفة الرسول
(٢) أبو بكر يقاتل مانعى الزكاة
(٣) أبو بكر وخالد بن الوليد
(٤) وفاة أبى بكر الصديق
(٥) عمر أمير المؤمنين
(٦) فتح دمشق .
(٧) عمر وسعد بن أبى وقاص
(٨) عمر فى بيت المقدس
(٩) فتح مصر
(١٠) عمر والرعية
(١١) وفاة عمر
(١٢) عثمان بن عفان
(١٣) فتح إفريقية
(١٤) عثمان وثورة الأمصار
(١٥) مقتل عثمان
(١٦) الإمام على بن أبى طالب
(١٧) وقعة الجمل
(١٨) وقعة صفين
(١٩) التحكيم
(٢٠) مقتل الإمام

الحلقة الرابعة ـ العرب فى أوربا :

(١) الوحى والطلسم
(٢) رؤيا الرسول
(٣) ملك الاندلس
(٤) طارق بن زياد
(٥) موسى بن نصير
(٦) نهاية موسى بن نصير
(٧) العرب فى فرنسا
(٨) شارل مارتل
(٩) صقر قريش
(١٠) عودة إلى غزو فرنسا
(١١) الحكم بن هشام
(١٢) العرب فى كريت
(١٣) العرب فى صقلية
(١٤) عبد الرحمن وطروب
(١٥) العرب فى إيطاليا
(١٦) عبد الرحمن الناصر
(١٧) الحكم بن الناصر
(١٨) الاميرة صبح
(١٩) المنصور بن ابى عامر
(٢٠) ولادة وابن زيدون
(٢١) الجاهلية الثانية
(٢٢) شقاق
(٢٣) انتصار الإسبان
(٢٤) آخر أيام العرب فى الأندلس

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

ثمن القصة الواحدة ٤٠ قرشا

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

قابيل وهابيل

عبد الحميد جودة السحار

٢

القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

قابيل وهابيل

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أخذت مكتبة الطفل فى السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها فى جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجمًا أو معربًا .

وفى القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه فى مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا فى هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هى المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن فى هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثانى : أن نحقق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية وينمى الذوق الأدبى .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هى الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهى خاصة بقصص السيرة - سيرة الرسول ﷺ . وظهرت فى أربعة وعشرين جزءا ؛ وأما الحلقة الثالثة فهى خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت فى عشرين جزءًا ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية فى جميع العصور .

وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذى اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والله ولى التوفيق .

المؤلف

١

كان آدمُ وحــوّاءُ يَعِيشـان فـى الجَنَّةِ سـعيدَين ، لا يَعْرِفان التّعبَ أو الخوف ، ولكنْ لَمّا لَمْ يَسـمعا أُمْرَ اللّـه ، أَنْزلهمـا إلى الأرض ، فوجـدا الأرضَ مُغَطّـاةً بالأشـجارِ العاليـةِ والأعشـاب ، ووجـدا السِّبـاعَ والنُّمُورَ والفِيَلَةَ والضِّبَاعَ وجميعَ الوحوشِ تعيـشُ فى الأرضِ ، فخافا أن تأْكُلَهُما هـذه الوحـوش ، فسـكنا فى كهفٍ عال ، ولما جاعـا لم يَجِدا طعامهمـا قَريبـا سَهْلاً كما كانا يجِدانه فى الجنة ، بـل كـان علـى آدمَ أَنْ يبحثَ عن الطعامِ فى وسطِ الغابات والأشجار .

أصبح على آدمَ أن يَتعبَ وأَن يَسـيلَ عرقُـه ، قبـل أن يجِدَ طعامَـه ، وأصبـحَ علـى حـوّاءَ أن تُعاونَـه فـى عملِه ، وتُشاركَه فى تعبِه .

وحملت حواءُ ووضَعَتْ طِفْلا سَمَّتْهُ قَابيلَ ، وفرِح آدم بأولِ ولدٍ له ، ووجدَ أنَّ حواءَ لَنْ تَستطيعَ أن تشاركَه فى عمله ، فقدْ أصبحَ لها عملٌ آخر ؛ هو العنايةُ بالطِّفل . فخرجَ وحدَه يبحثُ عن الطعام طولَ النهار ، حتى إذا جاءَ الليل ، عاد إلى الكهفِ يلاعبُ ابنَهُ وهو فرحان .

ومرت سنةٌ أخرى وحَمَلَتْ حوّاءُ ووضَعَت طفلا آخرَ سَمَّتهُ هابيلَ ، واستمرَّ آدمُ فى البحثِ عن الطعام وإحضاره للأُسرَة . التى زادَ عددها .

٢

وكبرَ قابيلُ وهابيل ، وأصبحا شابَّيْن ، فصار عليهما أن يتركا اللّعِب ، وأنْ يَعْملا ليساعدا آدمَ فى

إحضـارِ الطعـامِ للأُسـرةِ الكبـيرة ، وفـى حمايَتهـا مـن السِّباعِ والنُّمورِ والوحوش .

كان قابيلُ أكبرَ من هابيل ، وكان هابيلُ أقوى من أخيه ، وكان قلبُه رقيقـًا ونفسُـه طيبـة ، فكـان يحبُّ الحيوانَ ويَعطِفُ عليه .

وأرادَ آدمُ أن يُقَسِّمَ العملَ بـين وَلديْـه ، فـرأى أنْ يُكلِّـفَ قـابيلَ زراعـةَ الأرض ؛ لأنَّ الأرضَ لا تحتـاجُ إلى رِقَّةٍ أو حنانِ قلب ، وأعطى هابيلَ رِعايةَ الأغنـامِ والبقر ؛ لأنها تحِـسُّ وتتـألم ، وتحتـاجُ إلى مَـنْ يعطِـفُ عليها .

طلعت الشمس ، فخرجَ آدمُ وقـابيلُ وهـابيلُ مِنَ الكهف ، وذهبَ قابيلُ يجمعُ الثمار ، وذهـبَ هـابيلُ يرعى الماشية ، ويعطِـفُ عليهـا ولا يؤذيهـا ، وذهـب آدمُ يَصْطَـادُ بعضَ الطيـور ، وينقُـلُ الماءَ إلى حـواءَ لتُنَظِّفَ أبناءَها .

وكانوا إذا جاء الليل ، عادَ الرجال إلى الكهف ؛ قابيلُ يحمِلُ الفَواكِه ، وهابيلُ يحملُ الألبانَ ، وآدمُ يحمل بعضَ الطيورِ التى اصطادَها ، ثم يُوضَعُ الطعامُ ويقعدُ الجميع يأْكلون .

٣

زادتِ الفواكهُ والثمار التى رزق اللّه بها آدمَ وأولادَه ، فأراد آدمُ أن يعلِّم ولدَيه الكبيرين كيفَ يشْكُرانِ اللّه على هذه النِّعَمِ الكثيرة ، فأمَرَهما أن يَذْهَبا إلى قِمَّةِ الجَبل ، وأن يضَعَ كلٌّ مِنهما شيئًا من مَحصولِه ، ليأخُذَه ويأكُلَه أىٌّ من مخلوقاتِ اللّه ، التى لا تعرفُ تربيةَ الحيوانِ أو زراعةَ الأرض ، فيكونَ هذا زكاةً وقُرْبانًا لله .

ففرِحَ هابيلُ لأَنَّ قلبَه طيِّب . أما قابيلُ فقال فى نفسِه : لماذا أخسَر هذا الذى كَسَبْتُه بالتَّعَبِ

والعَرَق ، فَأتْرُكُهُ وأرمِيه ولا أنتفعُ به ؟! ولكنه لم يقدرْ أن يردَّ على أبيهِ .

٤

ذهبَ هابيلُ إلى غَنَمِه ، وأَخَذَ يَبْحثُ حتّى وجدَ خروفًا سمينا ؛ كان أحسنَ خَروفٍ عِندَه ، فَذَبَحَهُ وهو مسرورٌ لأَنه سيقدِّمه لله الذى يرزقُهم بالطعامِ والشراب ، أَما قابيل فقد أخذَ يبْحثُ فى الفاكِهةِ والثمار ، ولكنه لم يكنْ يَبحثُ عن أحسنِ ما عندَه ، بلْ كان يبحثُ عن شىء ردىء - لأنه هو نفسُه كان رديئا بخيلا - حتى وجدَ فاكهةً فاسدة .

قدَّم قابيلُ إلى اللّه هَدِيَّته الرَّديئةَ الفاسدة ، وكان قلبُه رديئًا كهديته ، وقدَّم هابيلُ هديتَه التى كانتْ أحسنَ ما عنده ، وكان قلبُه صافيًا نظيفا .

وفى اليـوم التـالى ، ذهبـا ومعهمـا أبوهمـا آدمُ إلى قِمَّةِ الجبل ، فلم يجد هـابيل هديَّتـه ، فعرف أن اللّـه قبلها منه ، أما قابيلُ فوجدَ هديَّته الرديئة كمـا هـى .

فَفرِحَ هابيلُ وشكرَ اللّه ، وغضِـبَ قـابيل ، واغتـاظَ من أخيه ، وقال لأَبيهِ وهو غضبان :

ـ إِنَّما تقَبَّلَ اللّه منه ، لأَنَّكَ دَعَوْتَ له ، ولَمْ تَـدْعُ لى .

فقال له آدم :

ـ بل تَقَبَّلَ اللّه مِنْهُ لأَنَّه قَدَّمَ أطيبَ مـا عِنـده ، وقلبُه صاف . أما أنـت فقَدَّمْتَ إلى اللّـه أردأَ مـا عندك ، وقلبُك ردىء . إنَّ اللّه طيِّبٌ لا يحـبُّ إلا الطيِّب .

وانصرفَ هـابيل ، ووقـف قـابيلُ ينظرُ إليـه وهـو غضبـان ، ثـم سـارَ خلفَـه وهـو مُطرِقُ الـرأس ، يشـعر

بخِزْى . كان حزينًا لأَنَّ اللّه فَضَّلَ أخاه عليه . لم يغضب على نفسه لأَنَّه كان رديئا ، بل غضِب على هابيل .

وجاء الشيطانُ وهمسَ فى أذنه : اقتلْ أخاك ، اقتل هابيل .. فرفع قابيلُ رأسَه ونظر ، فرأى أخاه يسيرُ هادئا فَشَعَرَ بضيق ؛ وراح الشيطانُ يقولُ له : اقتلْ هابيل . اقتل هابيل .. فأسرع خلف أخيه ، حتى إذا لحِقَ به ، قال له فى غضب :

- لأَقْتُلَنَّك .

فقال له هابيل فى استغراب :

- لماذا تقتُلنى ؟

- لأنَّ أبى يُحبُّك أكثر مِنى ؛ ولأَنَّ اللّه فَضَّلَكَ علىَّ .

- إنَّ قَتْلِى لن يُغَيِّرَ شيئًا ، فلنْ يحَبَّك أبى لأنك

قَتَلْتنى ، وسيزداد غضبُ اللّه عليك .

وقبض قابيل على هابيل وهو ثائر ، وقال له :

ـ سأَقتلك لأستريحَ مِنك .

فقال هابيل لأخيه :

ـ لنْ تعرِفَ الراحةَ إذا قَتَلْتنى .

فقال قابيلُ والغضَبُ يُعميه :

ـ لن أعرفَ الراحةَ حتى أقْتُلَك .

فقال له هابيلُ فى هدوء ، وكان أشَدَّ من أخيه وأقوى :

ـ ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إلَيَّ يَدك لِتقْتُلَنى ، ما أَنا بباسِطٍ يَدِىَ إلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ، إنِّى أخافُ اللّه رَبَّ العالَمين﴾ .

وانصرف هابيلُ فى هدوء ، ووقف قابيلُ وهو ينظر إلى الأرض ، يشعر بِكُرْهٍ شديدٍ لأخيه .

٥

وصل قابيلُ إلى الكهفِ وهو حزين ، وتَمَدَّدَ لينام ، ولكنه لم يَنَمْ ، كان يفكّر فيما حدثَ وهو مُتضايق ، وجاء الشيطانُ يَهمِس فى أذنه : اقتل هابيلَ لِتستريح .. اقتلْ هابيل .. واستمرَّ يستمع إلى الشيطان ، وهو يتقلّبُ فى قَلَق ، حتى إذا طلع النهار خرج من الكهف ، وقد عزَمَ أن يقتل أخاه .

ذهب هابيلُ إلى الأغنام ليعتنىَ بها ، وكان مسرورًا منشرح الصدر ؛ وخرج قابيلُ ليزرعَ الأرض وكان عَبُوسًا مغتاظا من هابيل . فلما رأى أخاه يس بينَ الغنم هادئا ، زاد غضبه ، وجاء شيطانُه يصيح به ، اقتلْه واسترح . فنظرَ حوله فوجدَ صخرة فحملها وذهبَ إلى أخيه كالمجنون ، وضربه بها

فسقط هابيلُ مقتولا ، وجرى أولُ دمٍ على الأرض .

أفاق قابيلُ إلى نفْسِه ، فلما رأى دَمَ أخيه شَعَرَ بندم ، وعرف أنه عمِل عَمَلا فظيعا : قتلَ هابيلَ ولم يفعل هابيلُ ما يستحقُّ عليه القتل .. كان أخوه طيِّبًا فعَمِل الطَّيِّب ، أما هو فكان سيئا وعمِل السَّيِّىء . ولم يعترف بذلك ، بل زاد فى رداءتِهِ وحَسَدَ أخاهُ وقَتَلَه .

ها هو ذا قَتَل أخاه ، فماذا كسب من قتلِه ؟ إنه لم يكسِبْ شيئا ، بل خسر كل شيء . إنه يشعرُ بالخوف ، ويشعر بالحُزنِ ، ويشعر بالندم ، خَسِرَ الراحة ، وخَسِر الأمن ، وخسر الاطمئنان . إن الريحَ تهُبُّ فيخيَّلُ إليه أنها تصرخ به : قاتل .. قاتل .. والوحوش تزأر فى الغابة ، فيتصوَّر أنها تناديه : يا قاتل .. يا قاتل !

إنه خائف ، إنـه يَنْتَفِض ، إن رِجْلَيـه لا تستطيعان حَمْلَه ، فسقطَ إلى جِوار أخيه ، وأخَذ يهُزُّه ويناديه :

ـ هابيل ... هابيل ..

ولكن هابيل بقى ساكنا لا يُجيب ، فقد أصبح جثة فارقتها الحياة .

٦

وقف قابيلُ أمام أخيه المقتولِ حائرًا ؛ إنه لا يعرف ماذا يفعل . مات هابيلُ ولم يَعُد يستطيعُ أن يقومَ أو يمشى ، فماذا يفعل قابيل ؟! أيتركه فى الفضاء للطيور الجارحةِ وللوحوش ؟ فكر ، ولكنه لم يهتَدِ إلى شىء ، وخطَرَ له أن يحمِل أخاه ، فتقَدَّم وحَمَل جُثَّةَ هابيلَ على ظهْرِه ، وسارَ وهو قَلِقٌ لا يدرى ماذا يفعلُ بالجُثَّة .

واستمرَّ فى سيره حتى تَعِبَ ، فوضَعَ جثة أخيه على الأرض ، وجلس إلى جوارها وهو حزين ، وأخذَ ينظُر إليها ويفكرُ فيما يفعَل ، ويلُوم نفسه على قتل أخيه ، ويتمنّى لو أنه لم يقتلْه .

حتى إذا استراح ، حَمَلَ أخاه مرة ثانيةً على ظهرِه ، وسارَ به وهو ينتفِض من الغَضب على نفسه ، واستمرَّ فى سيره وهو حيران ، حتى إذا أحسَّ تعبا وضع أخاه على الأرض ، وجلس يستريح .

واستمرَّ يحملُ أخاهُ على ظهرِهِ ويضعهُ إذا تعب ، ثمَّ يعود ويحملهُ ويدور به فى الفضاء ، وهو حيران لا يدرى كيف الخلاص .

وبينما هو يسير ، إذ رأى غُرابًا حيًّا وبجانِبه غرابٌ ميت ، والغراب الحيُّ يحفِرُ فى الأرض بمنقارِه ورِجْلَيه

حتى حفر حُفْرةً كبيرة ، فجذب الغرابَ الميتَ ووضعه فى الحُفرة ، وغطّاه بالتراب .

فلما رأى قابيلُ ذلك عَجبَ مِن أمرِه ، وقال :

ـ ﴿ يا وَيْلَتَا ! أَعَجَزْتُ أن أكونَ مِثلَ هذا الغراب ، فأُوارِىَ سَوْأَةَ أخى ؟ ﴾ .

وقام وأخذ يحفرُ فى الأرضِ حفرة ، ثم جذبَ أخاه ووضعَه فيها ، وغَطّاه بالتراب .

٧

وأقبل آدم يبحث عنْ وَلَديْه ، فلما رَآهُ قابيلُ قادمًا شَعَرَ بالخوف ، وعَلِم أن أباه لن يغفِرَ له ما فَعَلَه ، فَفَرَّ من وجهه مذعورًا مفزوعا ، فلما رآه آدم يَجرى من وجهه دهِش ، ونظرَ حولَه فرأى دَمَ هابيل ، فدقَّ قلبُه فى شِدَّة ، وانقبض ، فقد عرف أن قابيلَ قتلَ

هابيل ، فحزِن وجَرتْ دموعُهُ علـى خدَّيْـه ، وجـرى خلفَ قابيل وهو حانق ، وأخَذ يصيح :

ـ قابيل .. ماذا فعلتَ بأخيك ؟!

وخُيِّلَ لِقابيلَ أن الدنيا كلّها تصيح به :

ـ قابيل .. ماذا فعلتَ بأخيك ؟

فاستمرَّ يجرى وهو مفزوع ، حتى وصـل إلى حافـةِ الجبل ، فنزل وهـو خـائفٌ يضْطَرِب ، وآدمُ يصيـح به :

ـ قابيل ! لنْ تعرف الراحةَ أبدا ، لقد فتحتَ علـى نفسِك أبواب الخوف . اذهبْ ، فلا تزالُ مرعوبًـا لا تأمَنُ مَنْ تراه .

القصص الديني

الحلقة الأولى ـ قصص الأنبياء (بالاشتراك مع سيد قطب)

(١) آدم وحواء
(٢) قابيل وهابيل
(٣) سفينة نوح
(٤) إرم ذات العماد
(٥) ناقة صالح
(٦) إبراهيم يبحث عن الله
(٧) فداء إسماعيل
(٨) يوسف الصديق
(٩) تحقيق الرؤيا
(١٠) مدين وشعيب
(١١) موسى والعصا
(١٢) موسى والألواح
(١٣) موسى والرجل الصالح
(١٤) داود
(١٥) سليمان وبلقيس
(١٦) عيسى بن مريم
(١٧) أهل الكهف
(١٨) قدرة الله

الحلقة الثانية ـ قصص السيرة :

(١) هاشم بن عبد مناف
(٢) عبد المطلب جد النبى
(٣) عبد الله وآمنة
(٤) مولد الرسول
(٥) حليمة السعدية
(٦) اليتيم
(٧) خديجة بنت خويلد
(٨) الوحى
(٩) المسلمون الأوائل
(١٠) الاضطهاد
(١١) الهجرة إلى الحبشة
(١٢) أيام الشدة
(١٣) الهجرة
(١٤) غزوة بدر
(١٥) غزوة أحد
(١٦) الخندق
(١٧) صلح الحديبية
(١٨) الدعوة إلى الإسلام
(١٩) فتح مكة
(٢٠) غزوة حنين
(٢١) غزوة تبوك
(٢٢) حجة الوداع
(٢٣) النبى الصالح
(٢٤) وفاة الرسول

الحلقة الثالثة ـ قصص الخلفاء الراشدين :

(١) أبو بكر خليفة الرسول
(٢) أبو بكر يقاتل مانعى الزكاة
(٣) أبو بكر وخالد بن الوليد
(٤) وفاة أبى بكر الصديق
(٥) عمر أمير المؤمنين
(٦) فتح دمشق .
(٧) عمر وسعد بن أبى وقاص
(٨) عمر فى بيت المقدس
(٩) فتح مصر
(١٠) عمر والرعية
(١١) وفاة عمر
(١٢) عثمان بن عفان
(١٣) فتح إفريقية
(١٤) عثمان وثورة الأمصار
(١٥) مقتل عثمان
(١٦) الإمام على بن أبى طالب
(١٧) وقعة الجمل
(١٨) وقعة صفين
(١٩) التحكيم
(٢٠) مقتل الإمام

الحلقة الرابعة ـ العرب فى أوربا :

(١) الرجى والطلسم
(٢) رؤيا الرسول
(٣) ملك الاندلس
(٤) طارق بن زياد
(٥) موسى بن نصير
(٦) نهاية موسى بن نصير
(٧) العرب فى فرنسا
(٨) شارل مارتل
(٩) صقر قريش
(١٠) عودة إلى غزو فرنسا
(١١) الحكم بن هشام
(١٢) العرب فى كريت
(١٣) العرب فى صقلية
(١٤) عبد الرحمن وطروب
(١٥) العرب فى إيطاليا
(١٦) عبد الرحمن الناصر
(١٧) الحكم بن الناصر
(١٨) الاميرة صبح
(١٩) المنصور بن أبى عامر
(٢٠) ولادة وابن زيدون
(٢١) الجاهلية الثانية
(٢٢) شقاق
(٢٣) انتصار الإسبان
(٢٤) آخر أيام العرب فى الأندلس

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

ثمن القصة الواحدة ٤٠ قرشا

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

القصص الديني

سفينة نوح

عبد الحميد جودة السحار

٣

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

القصص الديني

سفينة نوح

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أخذت مكتبة الطفل فى السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها فى جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجمًا أو معربًا .

وفى القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه فى مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا فى هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هى المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن فى هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثانى : أن نحقق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية وينمى الذوق الأدبى .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هى الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهى خاصة بقصص السيرة - سيرة الرسول ﷺ . وظهرت فى أربعة وعشرين جزءا ؛ وأما الحلقة الثالثة فهى خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت فى عشرين جزءًا ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية فى جميع العصور .

وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذى اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو اللّه أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، واللّه ولى التوفيق .

المؤلف

١

كَثُرَ أبناء آدمَ وحوّاءَ فى الأرض ، وأولادُهم ، وأولادُ أولادِهم ؛ وأصبحوا شَعْبًا كبيرا . ومع مرور الزمن ، نَسِيَ الناسُ ربَّهُم الذى خلقَهم ؛ وصَنَعوا بأيديهم أصناما من الحجارة ، وسجدوا لها وعَبَدوها ؛ واعتقدوا أنَّ هذه الأصنامَ آلِهَةٌ تَنْفَعُهم وتَضُرُّهم !

عند ذلك أرسَلَ اللّه إليهم نوحًا ليُرشِدَهم إلى عبادة اللّه الواحِد الأحَد ، الذى خلَقهُم ، وخَلَق أباهم آدمَ وأمَّهم حواءَ من قبلِهم ؛ وخَلق لهم الأرضَ بكل ما فيها من حيوانٍ ومَاء ، ونباتٍ وأشجارٍ ؛ وأعطاهُم العقلَ الذى يفكرون به ، والعَيْنَ التى يُبْصِرونَ بها ، والأذنَ التى يسمعونَ بها ، والفَمَ الذى يتكلّمون به ، والأنف الذى يشُمُّون به .

والأرجُلَ للمشى عليها ، والأيدى للعمل بها ، وخَلَق لهم الشَّمْسَ والقمرَ والنجوم ، وسائر الأشياء فى الأرضِ أو فى السماء .

ذَهَب نوحٌ إلى قَوْمِه ، فقال لهم :

يا قومى : إنكم صنعتُم هذه الأصنامَ بأيديكم ، وأصلُها حجارةٌ كما تعرفون ، ولكنكم تسجدون لها وتَعْبُدُونَها كأنَّها إلَهٌ حقيقى !

يا قومى : إنَّ اللَّه هو الذى خَلَقَكم ، وهو الذى يُعطيكم الرزق ، لأنه هو الذى جَعَلَكم قادرين على زِراعَةِ الأرض ، وتربية الحيوان ، وصيد الأسماك ، وأرسل إليكم المَطَرَ من السماء ليتكوَّن منه الماء ، فآمِنوا باللَّه وحدَه واعبُدوه ، واتركوا عِبادة هذه الأصْنام ، التى لا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ .

يا قَومِى : إنَّنى أنْصَحُكُم لوجه اللَّه ، ولا أطلبُ

منكم أجرًا على هذه النصيحة .

عند ذلك قال بعضُ الناس : واللّه هذا كلامٌ معقُول . إنَّ هذه الأصنامَ لا تتكَلّمُ ولا تَتَحرَّك ، فكيف تكونُ آلهة ؟ إنَّ الإلـهَ لا يكونُ قطعةً من الحجر !

وقال البعضُ الآخر : لا لا . هذه آلهتنا ، ولا نتركها أبدا .

فأمَّا الذين صَدَّقوا كلامَ نوح ، فكانوا من الفقراء الطِّيبين ، وقد انضَمُّوا إليه ، وتركوا عبادة الأصنام ، وَرَجَعوا إلى عبادةِ اللّه .

وأمَّا الأغنياءُ والمتكبِّرون ، فقالوا : مَن هو نوح حتى نَسْمَعَ كلامه ؟ إنّه رجلٌ مجنون ، فقير ، لا قيمة له ولن نسمع كلامَه أبدا .

* * *

وفى اليومِ التالى ، ذهبَ نوحٌ إلى هؤلاءِ الأغْنِياءِ المُتَكَبِّرينَ يدعوهُم إلى عبادةِ اللّه ، وتركِ عبادة الأصنام ، فقال له بعضهم :

- هَل جُنِنْتَ يا نوح ؟ ما هذا الكلامُ الفارغ الذى تقولُه ؟ لقد كنت من قبل عاقِلا ، ولم نسْمَعْ منك هذا الكَلام العَجيبَ إلا أمس ، فماذا جرى لك ؟

قال لهم نوح : يا قومى ، إنّنى لم أُجَن . ولكنَّ ربِّى أرسَلَنى إليكم لأرشِدَكم لأنّكم تركتم عبادتَه ، وعبدتم الحجارةَ التى عَمِلَتها أَيْديكم .

قال له واحدٌ منهم : ولماذا اختارَكَ اللّه من بَينِنا وأنت رجُلٌ فقير ، ولستَ أحْسَنَ منا حتى يختارَكَ ويُرسِلك إلينا ؟

قال نوح : إذا كنتُ فقيرا ، فإنَّ قلبى طيِّبٌ ومخْلِصٌ للّه واللّه يُحبُّ الطيِّبين المخلصين . وإذا

سمِعْتُم كلامى فإنَّ اللَّه يُحِبُّكم ويُدخِلُكم الجنَّة ، فهو الذى خَلَقَكم ، وهو الذى يُميتكم ، ثمَّ يبعَثُكم يوم القيامة مرة أخرى .

قال له أحدُهم : اسمَعْ يا نوح ؛ هل تريد أن نُصدِّقكَ ، ونَتَّبعَك ؟ اطرُد هؤلاءِ الفُقَراءَ الذِين معك ، فإنّنا لا نُحِبُّ أن نجتمِع مع هؤلاءِ الفقراء ، ونحن أغنياءُ وأسْياد !

فردَّ نوح قائلا : وما ذَنْبُ هؤلاء الفقراء ! إنهم ناسٌ طيِّبون مُخلِصون . واللَّه يحبُّ الطَّيبين المخلصين . وحرامٌ عليَّ أنْ أطْرُدَهُم من غَير ذَنب .

عندئذ قال له القوم : إذَنْ فاذْهَب بعِيدًا عنا ، ولا تُحاوِلْ مرةً أُخْرَى أن تكلِّمنا .

ولكنْ نوحٌ لم ينقَطِعْ عن الذهابِ إليهم ، يوما بَعْدَ يوم ، لِيَنصَحَهُم ويُرشِدَهم . فقال لَهُم مرة :

ـ يا قومِي إنِّى أخافُ عَلَيكُم غَضَبَ اللّه ، وَعَذابَ اللّه ، وأنا واحِدٌ منكم ، ومُشْفِقٌ عليكم .

وفى هذه المرَّةِ لم يردُّوا علَيْهِ أبدًا كأنَّهم لم يَسْمَعُوه ! قالَ لهم نوح : إن كنتم لا تحْتَرِموننى أنا ؛ لأنِّى رجُلٌ فقير ، فاحترِموا ربَّكم الذى رزَقَكم بهذه الأموال ، وأعطاكم الأَولادَ والصِّحةَ والقُوَّة .

عند ذلك غطّوا وجُوهَهُم بأطرافِ ثيابهم حتى لا يَرَوه ، وسدُّوا آذانَهم بأطراف أصابعهم حتى لا يسْمَعوه .

فدارَ نوح من حولهم ورفَعَ صَوته عاليا ، وهو يقول : يا قومى : إنِّى أخافُ عليكم عَذابَ يومٍ شديد ، فاسْمَعُوا وأَطِيعوا قبلَ أن يَنْزِلَ عَلَيْكُم

غَضَبُ اللّه وَعَذابُه .

فلَمَّا تَضَايَق القومُ مِنْهُ كَشَفُوا وجوهَهُم ، ونَظَروا إليه فى غَيظٍ وقالوا :

ـ يا نوح : لَقَد جادلتنا وهددتنا بالعذاب ، فاذهب وأْتِنا بالعذاب الشديد الَّذى تُخَوِّفُنا به . وإِذا عُدتَ إلينا فسنَرْجُمُك بالحجارةِ حتى تموت .

ثم التَفَتَ بعضُهُم إلى بعضٍ يَقولون : لا تَتْرُكُوا عِبادَةَ آلِهَتِكم . لا تَتْركوا وَدًّا ولا سُواعا ، وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ونَسْرا .

ثُمَّ انصرَفُوا عَنْه وتركوه .

٢

رَجَعَ نوحٌ مُتَأَلِّمًا حَزينا . فرفَعَ وجهَهُ إلى اللّه يشكو له قومَه .

قال : ﴿ ربِّ إنى دعوتُ قَوْمِى لَيْلا ونَهارا ، فلمْ

يَزِدْهُم دُعائِى إلاَّ فِرارا . وإنِّى كُلَّما دعَوْتُهم لِتَغفِرَ لهم ، جَعلُوا أصابعَهم فى آذانِهم واسْتَغْشَوْا ثِيابَهُم ، وأصَرُّوا واسْتَكْبَروا اسْتِكْبارا . ثم إنِّى دعَوْتُهم جِهارا ، ثمَّ إنِّى أعْلَنْتُ لهم وأسْرَرْتُ لهم إسْرارا . فقلتُ : اسْتَغْفِروا ربَّكم إنه كان غفَّارا ، يُرسِلِ السَّماءَ عليكُم مِدْرارا ، وَيُمْدِدْكُم بأمْوالٍ وبنينَ ويجعل لكم جنّاتٍ ويجعل لكم أنهارا . ما لكم لا ترجُون لله وقارا ، وقد خلقكم أَطوارا ، أَلَمْ تَرَوا كيف خلَقَ اللَّه سبعَ سموات ٍ طِباقا ، وجَعَلَ القمرَ فيهنَّ نورا ، وجَعَلَ الشمسَ سِراجا ، واللَّه أَنْبَتَكم من الأَرضِ نباتا ، ثمَّ يُعيدُكم فيها ويُخرجُكم إخراجا ، واللّه جعلَ لكم الأرضَ بِساطا ، لِتَسْلُكوا منها سُبُلاً فِجاجا ﴾ .

قال نوحٌ : ﴿ ربِّ إنهم عَصَونى واتَّبعوا مَنْ لم يَزِدْه مالُه وولَدُه إلا خَسارا ، ومَكروا مَكْرًا كُبَّارا . وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتكُم ، ولا تذَرُنَّ وَدًّا ولا سُواعا ، ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسرا ، وقَد أضَلُّوا كثيرًا ولا تَزِدِ الظالمين إلا ضلالا .. ﴾ .

وقال نوح : ﴿ ربِّ ، لا تَذَرْ على الأرضِ من الكافرين دَيَّارا . إنك إنْ تذَرْهُم يُضِلُّوا عِبادَك ، ولا يلدوا إلا فاجرا كَفَّارا ، ربِّ اغفرْ لى ولِوالِدىَّ ولِمَن دَخلَ بَيْتِى مُؤْمِنا ، وللمؤمنينَ والمؤمِناتِ ، ولا تَزِدِ الظالمين إلا تَبارا ﴾ .

عند ذلك استجابَ اللّه دعاءه ، وقال له : يا نوح ، لا تتألَّمْ ولا تَحزَنْ مما وقع لك من الإهانات ؛ فإننى سأُغرِقُ الكُفَّارَ جميعا ، ولن ينجوَ إلا أنت وأهلُكَ والمؤمنون معك .

وأمره اللّه أن يَصْنَعَ سفينةً عظيمة جدًّا ، وأنْ ينتظرَ حتى يُخبِرَهُ عمَّا يَصنعُ بها ، ولما كان نوح لا يعرفُ كيفَ يصنعُ السفينة ، فقد علَّمه اللّه كيفَ يصنعُها .

وذهب نوحٌ إلى الغابة ، وأخذ يقطعُ الأشجار ، ويشُقُّها ألواحا ، وينظفها ، ويقطعها ، ويُرَكِّبُها .

وبينما هو يعمل فى السفينة ، كان الكفار من قومه يمرون عليه ، فيضحكون ، ويقولون :

يا نوح : مالَك تركْتَ الكلامَ الغريبَ الذى كُنتَ تقُولُه لَنا ، ورُحتَ تصنع المراكِب ؟ هل رأيتَ أنَّ النِّجارَةَ أكْسَبُ من الرِّسالة ؟

فيقول لهم : انتظرُوا وستعرِفون !

فيضحكون عليه ويصيحون : مجنون ! ألَمْ نقُلْ لكم إنَّه مجنون ؟ يوما يقول : إنّه نبى ، ويوما يشتغل نجارا .

٣

لما فَرَغَ نوح من عملِ السفينة ، أمرهُ اللّه أن يضعَ فيها زوجًا من كلِّ نوع من أنـواعِ الحيـوانِ والطيـورِ والزَّواحِفِ والحشرات ، ثـمَّ يدخُـلُ فيهـا هـو وأهْلُـه والذين آمنوا معه . لأنَّ اللّه سَيُرْسِـلُ طُوفانًـا عظيمـا يُغْرِقُ الأرض . فلا ينجو إلا من كان فى السفينة .

وراح نوحٌ يجمعُ زوجًـا مـن كـل نـوع مـن أنـواعِ الحيوان : ذكرًا وأنثى ــ مـن الجمـالِ والخيـلِ والبقـرِ والغنمِ والماعزِ والأسودِ والنمـورِ والذئـابِ والضبـاعِ والثعـالبِ . ومـن الأفيـالِ والـزرافِ والغـزلانِ والقرود . وزوجًا من كل نـوع من أنـواعِ الطيـور : ذكرا وأنثى ، من الدَّجاجِ والحمامِ ، والبـطِّ والإوز ، والدِّيكةِ والفراخِ الروميةِ واليمـامِ والعصافـير ، ومـن

الغربانِ والبومِ والنسورِ والصقور . وزوجا من كلِّ نوع من أنواع الزّواحف : ذكرًا وأنثى : من السلاحِف والثعابين والسحالى والأبراص . وزوجا من كلِّ نوعٍ من أنواع الحشرات : ذكرا وأنثى ، من العناكبِ والعقاربِ والخنافسِ والصراصير .. إلى غير ذلك من كلِّ الأحياء التى على ظهرِ الأرض . جَعَلَ لكلٍّ منها بيوتًا فى السفينة .

وخَزَّن نوح فى السفينة مقاديرَ كبيرةً من طَعامِ الحيوانِ والطَّيرِ والزَّواحِف ، ومن الماءِ الحُلو . كما أخذَ معه أصنافا من جميع الحبوبِ وبذورِ الأشجارِ التى تنْبُت فى الأرض .

وفى آخر يومٍ دخل نوحٌ وأهلُه والمؤمنون معه - إلا امرأتَه فقد كانت كافرة - وأقفلوا أبواب السفينةِ ونوافِذَها ، كما أمَرهُ اللّه سبحانه وتعالى .

وعند ذلك هبَّتْ زوابعُ وعواصِفُ شديدة ، وأظْلَمت السماء ، وبَرَقَ البرْقُ ورعد الرَّعد . وتدفّقت الأمطارُ الغزيرةُ من السماء ، وتفَجَّرَت عيونُ الماءِ من الأرضِ . وصارَ الجوُّ مُخيفا فظيعا .

وارتَفَعَ الماءُ شيئا فشيئا على وجه الأرض ، حتى عامَت السفينة . ثمَّ أخذَ الماءُ يغْمر الأشجارَ والبيوت ، فهربَ الكفارُ منها ، وراحوا يجرون إلى الجبال لتُنَجِّيَهم من الماء .

وفى هذا الوقتِ نظرَ نوح من إحدى النوافِذ العاليةِ فى السفينة ، فرأى واحدًا من أولاده يجرى نحو قِمَّةِ جبل . وكان هذا الولد لم يؤمن ، فغافَل والده وهرَبَ من السفينة قبل أن يُغْلِقها نوح .

زعق نوح بأعلى صوته : ﴿ يا بُنَىَّ اركبْ معنا وَلا تكن مع الكافِرين ﴾ .

قال : ﴿ سآوى إلى جَبَلٍ يَعصِمُنى من الماء ﴾ .

فزعَق نوحٌ مرَّةً أخرى وقلبُه يدق :

قال : ﴿ لا عاصِمَ اليوم من أمرِ اللّه إلا مَن رَحِم ﴾ .

وفى هذه اللحظَةِ ارتفعَت موجةٌ عالية ، فَقَلَبت الشابَّ وجرَفَتْه مع التيار ، واختفى عن نَظَرِ والده وغاب .

وسارت السفينة بين أمواج عالية ، كأنها الجبالُ الضخمة ، يومًا بعد يوم ، وليلةً بعد ليلة ، والطوفانُ يرتفع ويرتفع ، ويغمر المرتفعاتِ والجبال ، حتى لم يبقَ شىء ظاهرًا على وجه الأرض ، ومات الناسُ والحيوانُ والطيرُ وسائر الأحياء ، إلا الذين فى السفينة مع نوح .

عند ذلك قال اللّه : ﴿ يا أرضُ ابلعى ماءك ، ويا سماءُ أقْلِعى ﴾ - أى كُفِّى واسكتى - فسكت المطر

والبرق والرعد وطلعت الشمس ، وابتلعت الأرض ما عليها من الماء . وكانت السفينة قد رسَت على جبل « الجوديّ » ولكنها كانت مغلَقةَ النوافذ والأبواب ، وكل ما فيها ظلامٌ فى ظلام .

أحسَّ نوح أنَّ السفينةَ راسيةٌ لا تتحرك ، ففتح نافذة ليرى ماذا تمَّ فى الدنيا . فدخل شعاعٌ من أشعَّةِ الشمس فيها . وكان قد مضَى على مَنْ فيها زمنٌ طويلٌ وهم لا يرون شيئا ، فهاصوا وزاطوا وزأر الأسد ، وصرخ النمر ، وعوى الذئب ، ونبَح الكلب ، وماءَ القط ، ورَغا الجمل ، وثغا الخروف ، وصهل الحصان ، ونهق الحمار ، وصاح الديك ، ونَعق الغراب ، ونَعَبَت البومة ، ورجَّع الحمام ، وشقشق العصفور .

واختلطت الأصواتُ كلُّها بأَصواتِ الناس ، وهم

يقولون : الحمد لله الذى نجّانا . الحمد لله الذى نجّانا . افتح يا نوح ، افتح يا نوح .

ولكن نوح قال لهم : اصبِروا وتمهّلوا ، وانتظروا حتى نعرفَ ماذا تم فى الأَرضِ قبل أن نهبِطَ إليها .

٤

عندما عَرَف نوحٌ أَنَّ الأَرضَ قَدْ جَفَّت ، فتح أبواب السَّفينة ، وأخَذَ يُطْلِقُ السِّباعَ المفترِسَةَ والطيورَ الجَارِحةَ أوَّلا ، حتى إذا ابتَعَدَت عن المكَانِ أطلَقَ البهائم الأليفةَ والطيورَ الداجنة ، ثمَّ خرَجَ هوَ وأولادُه وأهلُه والذينَ آمنوا معه .

وجَلس نوحٌ بين أهلِه وأبنائِه ، فرأى مكانَ ابنه الشَّابِّ خاليا ، فدمعت عيناه ، وحَزَنَ قَلْبه ، وتوجَّه إلى اللّه يدعوه .

قال : ﴿ ربِّ إنَّ ابنى من أَهْلى ﴾ وقدْ وَعَدْتَنى أن تُنجِىَ معِى أهلى جميعا .

يا رب رُدَّ علىَّ ولدى ، يا رب إنَّكَ أحكَمُ الحاكمين .

قال له اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ يا نوحُ إنّه ليس من أهلِك ، إنّه عمَلٌ غيرُ صالِح ﴾ ، فعرفَ نوح أنه أخطأ ، لأنَّ ابنه هذا كافرٌ ليس ولده ، ولا يستحق أن يطلُبَ من اللّه إحياءه .

وخافَ نوحٌ أن يكونَ اللّه غاضبا عليه ، لأَنه طلب منه أن يُحيِيَ له ذلك الولد الكافر ، فدعا ربَّه أن يغفِرَ له ويعفو عنه ، لأنه لم يكن يعرِف أن الولد الكافر لا يكون من أقربائِه .

وسمِعَ اللّه دعاءَه ، فرَضِىَ عنه ، وقال له : عِشْ أنت وذُرِّيَّتُكَ فى الأرض ، وازرعوها وعَمِّروها .

فقام نوحٌ ومن معه يبذرون الحبوب ، ويَغْرِسُون البذور ، ويبنونَ البيوت ، حتى عادت الأَرضُ عمارًا بعد الطُّوفان .

القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

إرم ذات العماد

٤

عبد الحميد جودة السحار

١

بعد انتهاءِ الطُّوفان ، ونُزولِ نوحٍ ومن معه من السفينة ، أَخذَ هؤلاء المؤمنون الذين نَجَوْا معه يتزاوجون ويأْتُونَ بأولادٍ وبنات ، حتى كَثُرَ الناس ، وعَمِرَت الأرض ، ونبتتِ الزروع ، وتَكاثَر الحيوانُ والطيْر ، وعادت الدنيا كما كانت قبلَ الطوفان .

ولما كثُر الناسُ تفرقوا فى الأرض ، وسكَنتْ كل قبيلةٍ فى ناحية منها ، ومَلكتْها وعمَّرتها ؛ ومن هَذه القبائلِ الكثيرة ، كانت هناك قبيلةٌ تسمَّى « عاد » تسكُنُ فى جنوبِ بلادِ اليمن ، بالقربِ من البحرِ ، فى وادٍ تُحيطُ به المُرتفِعاتُ الرملية .

وكانت الأمطارُ كثيرةً فى هذا الوادِى ، لِقُرْبِهِ من البحر ، كما كانت العيونُ تَتفجَّرُ فى أرضِه ، وتسِيلُ

مياهها . ولذلك كثُرَت فيه المزارعُ والحقول ، والحدائق والمراعى ، وتكاثرَ الحيوانُ والطير . وصارتْ هذه الجهة كأنها قطعة من الجنة .

وقد بنى أهلها مدينةً جميلةً كانتْ أحسنَ مدينةٍ فى الدنيا فى هذا الوقت ؛ فقد كانت بيوتُها مرفوعةً على أعمِدةٍ ضخمة ، وطرقاتُها فسيحة ، ومُزَيَّنةً بالحدائقِ والمُتَنزَّهات ، وكانوا يسمونها : إرَمَ ذاتَ العِماد ، التى لم يُخْلَق مثلُها فى البلاد .

وكان هؤلاء الناسُ ضخامًا عمالِقة ، أقوياءَ الأجسام ، أشدَّاءَ جبَّارين ، فبَنُوا الحصونَ والقلاع ، وأسَّسُوا مصانِعَ لنحتِ الأحجار ، وعملِ الأسلحة وغيرها ، وطَغَوْا وتكبَّروا لأنهم أقوياء ، لا يغلبهم أحد .

وكانوا يُقيمون علاماتٍ للمرور فى الصحراء

المحيطةِ ببلادِهم ، ولكنها كانت علاماتٍ كاذبة ، ليس غَرَضهُم منها إرشادَ الناسِ المارِّين إلى الطرقِ المأمونة ، بل كان غرضُهُم تضليلَ الناس ، والضَّحِك عليهم ، ليَتيهوا فى الصحراء ، ولا يعرِفُوا الطريق .

وكذلك كانوا يخرجون لضربِ الناس ، والإغارةِ عليهم ، بوحشيةٍ وقَسْوَةٍ فظيعة ، ولا يرحمون أحدا ، ولا يُشْفِقون عليه .

ثم نَحتوا الأحجار ، وجعلوها أصناما ، وقالوا : إنها آلِهة : كما كان الكفارُ من قومِ نوحٍ يصنعون ، قبل أن يُغْرِقَهم الطوفان .

لذلك أرسلَ اللّه إليهم سيدَنا هودا ، وهو واحدٌ منهم ، لينْهاهُم عن عبادةِ الأصنام ، ويرشدهم إلى عبادة اللّه ، وينْصَحَهم بأن يتركوا القَسوةَ والوحشية ، ويكونوا رُحَماءَ بالناس ، فلا يؤذُوهم ،

ولا يُقيموا العلاماتِ الكاذبةَ فى الطريق ، لتضليل المسافرين والضَّحكِ عليهم ، والسُّخرية منهم ، أو قتلهم وسلب ما معهم .



ذهب هود إلى قومِه ، فقال لهم :

ـ يا قَوْمِ إنِّى لكم رسولٌ أمين ، فاتَّقُوا اللَّه وأطيعون ، وما أسأَلُكم عليهِ من أجرٍ إنْ أجْرِىَ إلا على ربِّ العالَمين .

قالوا :

ـ وما الذى تُريده منّا يا هود ؟

قال : يا قَوْمِ اعبُدوا اللّه ما لَكم من إلهٍ غيرُه ، أفلا تَتَّقون ؟

قالوا : أجِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللّه وَحْدَه ، وَنَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ

آباؤنا ؟

قال : يا قَوم ، إنَّ اللّه هو الذى خَلَقكم ، وأعطاكم هذهِ الأرضَ بعدَ أن أهْلَكَ قَومَ نوح ، وجعَلكم أقْوياءَ الأجسام ، وأمَدَّكم بما تعْلَمون ، أمَدَّكم بأنعامٍ وبنين ، وجناتٍ وعيون .

قالوا : يا هود : ألَسْتَ رجُلا منا ؟ فلماذا اختارَكَ اللّه علينا ؟

قال : وهل تعجَبُون لأنَّ اللّه أرسَلَ إليكم واحدًا منكم ، ليُرشِدَكم ويُعَلِّمَكُم ، حتى تتركوا الأعمالَ الرديئَةَ التى تعمَلونها ، ولا تؤذوا الناس ، ولا تضربُوهُم ، ولا تُقيموا العلاماتِ الكاذبةَ لِيَضِلُّوا ، وأنتم تضحَكون منهم وتسْخَرون ؟

قال الملأُ الذينَ كفروا من قومِه : إنّا لَنَراكَ فى سَفاهة ، وإنّا لَنَظُنُّكَ من الكاذبين .

قال : يا قَومِ ليسَ بى سَفاهَة ، ولكنِّى رسولٌ من ربِّ العالَمين ، أُبلِّغُكُم رِسالاتِ ربِّى ، وأنا لكم ناصحٌ أمين .

قالوا : يا هودُ ما جئْتَنا ببَيِّنَة ، وما نحن بتارِكى آلِهَتِنا عَنْ قَولِك ، وما نحنُ لك بمؤمنين . إنْ نقولُ إلا اعتراكَ بعضُ آلِهَتِنا بسوء ، ولذلِك فأنت مُغْتاظٌ من آلهتِنا ، لأنها أساءت إليك وآذَتْك ، فتريد منا أن نترك عبادتها ، ونَعبُد إلَهك .

قال : إنى أُشهِد اللّه أننى صادق ، وآلهتُكم لا تستطيع أن تضُرَّ أو تنْفَع ، وأنا برىءٌ منها ، لأنها أحجارٌ وليسَت آلهة ، وأنا أنصَحُكم فقط ، حتى لا يَغْضَبَ اللّه عليكم ، فَيُهلِكَكُم ويُعَذِّبَكم .

قالوا : يا هود ، هل تُهَدِّدُنا بالهلاك والعذاب ؟

فَمَن هو الذى يقدِرُ على قِتالِنا ، ونحنُ قومٌ أشِدَّاء ، وليس هناك أحدٌ يَغْلِبُنا .

قال : يا قوم ، إنَّ اللّه الذى خلقكم هو أَشَدُّ منكم قوَّة ، فهو الذى أعطاكم هذه القوَّة ، وهو قادِرٌ على أن يأخذَها منكم ، ويُرسِلَ عليكم الهلاك والدمار .

قالوا : يا هود ، اذهبْ فقل لربِّك يُرسِلْ علينا هذا الهلاكَ الذى تُهَدِّدُنا به . وسنرى إن كان يقْدِرُ علينا . اذهبْ يا رجلُ اذْهبْ ، فنحنُ لا نُصَدِّقُ هذا الكلامَ الفارغ الذى تقوله . وإن كانت لديك مُعجِزَةٌ فأَظهِرْها لنا ، ونحن فى انتظارك يا أخانا !

٣

عرَف هودٌ أنَّ الكفارَ من قومِه لن يؤمنوا ؛ لأنَّ قلوبَهم أصبحت قاسية ، والنعمةَ التى هم فيها قد جَعَلَتْهم ينسوْن ربَّهم ، ويظنُّون أنهم أقوى من اللّه ، وأنَّه لا يقدِرُ عليهم !

ودعا هودٌ ربَّه أن ينصره على قومِه ، لأنهم كفرُوا وضلُّوا .

عند ذلك حَبَس اللّه المطرَ عن قومِ هود ، ومضَتْ مدَّةٌ طويلة لم تَنزِل فيها أمطار ، حتى جفَّ الزَّرعُ ومات ، ولم تجِد الأنعامُ والمواشى زرعًا تأكُلُه ، فَهُزِلَت ونَقَصَ وزنُها .

وكان القومُ يَتَلَهَّفُون على نزول المطر ، لأنَّ المياهَ القليلةَ التى فى العيونِ والآبارِ لا تكفى إلا للشرب ،

ولا يزيد منها شىءٌ لرىِّ الأرضِ والأشجارِ والحدائـقِ والحقول والمرَاعى ، فذهبوا إلى آلِهَتِهِم ، وصَلُّوا لها ، ودَعَوْا أن تُرسِلَ عليهم المطر بعد هذا الجفاف .

وكان هودٌ يقول لهم : يا قوم ، آمنوا حتـى يرسلَ اللّه المطر ، ويُنجِّيكـم مـن الضيـق الـذى أنتُـم فيـه . فيقولون له : لقد دعوْنا آلهَتنـا ، وستُرسـلُ لنـا المطَر قريبا ، فاذهب عنا . وإذا كان إلَهُكَ الذى تقول عنه موجودا ، فليصنَعْ ما يريد !

٤

وفى يومٍ رأوا سحابةً سوْداءَ عظيمـة ، مقبلـةً فـى السمـاء نحوَهـم : ففرحـوا وهَلَّلُـوا ؛ وقـالوا : هـذه سَحابة مُمْطِـرَة ألا ترَوْنَهـا سـوداءَ كثيفَـة ، لقـد استجابَتْ آلهتُنا لدعائِنا ، فأرسلتْ لنا هـذهِ السحابةَ

العظيمة ، التى ستملأُ الوادى ماء ، وتُـروِى الحقـولَ والمراعِى ، يا فرْحتنا ! يا فَرْحَتَنا !

وراحت جماعـةٌ تحرُثُ الأرض ، وتبـذُرُ الحبـوب ، فى انتظارِ المطرِ الغزير الذى سينزل فيُروِى الأرض ، ويُنْبِت الزرع .

وراحـت جماعـةٌ أخـرى تقـول لِهـود : أيـن إلَهُـكَ يـا هـود ؟ لقـد كنـتَ تقـول : ادعـوه ليُـنزلَ عليكـم المطرَ. فها هو ذا المطـرُ قـد أقبـلَ فـى هـذهِ السـحابةِ العظيمة ، وإلَهُكَ لم يصنَعْ شيئا . بـل إن آلهتنـا هـى التى أرسلتْ لنا هذه السحابةَ المُمْطِرةَ التى تراها .

وراحـت جماعـةٌ ثالثةٌ ترقـص وتُغَنِّـى أمـامَ الآلهـةِ وتُصَفِّقُ وتصيح ...

وبينمـا القـومُ فـى فَرحَتِهـم ، هبَّتْ ريـاح شـديدةٌ عاصِفة ، تُحَطِّمُ الأشجار ، وتُكَسِّرُ الأسوار ، وتُكْفِئُ

القدورَ والأوانى ، وتحمل الحصى والرمال ، فتضربُ بها وجوهَ الكفار ، وتُعمِى عُيونَهم ، وكانت ريحًا باردةً تُيَبِّسُ الجلود ، وتُجَمِّد الأيدى والأرجل والآذانَ والأُنوف .

فصرخ الكفار ، وانكفَئُوا على وجوههم ، ولكن الريحَ لم تَرْحَمْهُم . فاستمرَّت تهُبُّ وتُدَوِّى سبْعَ ليالٍ وثمانية أيام . حتى دمَّرَت كلَّ شىء ، وقَتَلَت الناسَ والحيوان ، وأهلكَتِ الزَّرعَ والثِّمار ، وخَرَّبتْ هذه الأراضىَ العامِرة ، فلم يَعُدْ فيها إلا جذوعُ الأشجارِ المهشمة ، وبجانبها جذوعُ الكفارِ يابسةٌ محطمة . إلا هودًا فقد نجّاهُ اللّه منها .

وكُلُّ شىءٍ قد انتهى وزال ، ولم تبق إلا البيوتُ الصخريَّةُ قائِمةً تقول :

هنا كان يسكن رجالُ عاد ، أولئكَ الضِّخامُ

الشِّداد ، الذين بَنوا إرَمَ ذاتَ العِماد ، التى لم يُخْلَقْ مثلها فى البلاد ، وقد أُهلِكوا بريحٍ صرصرٍ عاتيـة ، سخَّرها عليهم سبْعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حُسُوما ، فَتَرَى القَومَ فيها صَرْعَى ، كأنَّهم أعجازُ نخلٍ خاوية ، فهلْ تَرى لهم من باقِية ؟

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

ناقة صالح

عبد الحميد جودة السحار

٥

١

بعد هَلاكِ قبيلةِ عاد ـ قومِ هود ـ لم توجدْ قبيلةٌ مثلها قوية غنية ، إلى أن ظهرتْ قبيلةُ ثَمود ، فى شمالىِّ بلادِ العرب ، فى جِهَةٍ تسمَّى الحِجْر ، وهى بين المدينةِ المُنَوَّرة والشَّام .

هذه القبيلةُ كانت تعيشُ فى وادٍ خصيب ، تنْبتُ فيه الحدائقُ المثمرة اللطيفة ، والمزارع الخُضرُ الواسعة ، وبساتينُ النَّخيلِ التى تمتدُّ مسافات كبيرة ، وتطرح بلحا ، وتمرا لذيذا حلوا سريعَ الهضم .

وقد بَنوا القصورَ فى أرضِ الوادى ، ونحتُوا فى الصَّخر فى الجبال المحيطة به بيوتا كاملة ، كلُّ حوائطها وسقوفها وأراضيها صخْرٌ متِين ، لا يتهدَّم ولا يتحطَّم .

وعاشُوا عيشةً ناعمةً فى رغَدٍ وهناءةٍ فترةً طويلة ، حتى نَسُوا اللّه الذى أعطاهُم كلَّ هذه النِّعم ، ونَحتُوا من الصُّخور أَصناما وعبدوها ، واعتَقَدوا أنه ليس هناك آخرة ، ولا ثوابٌ ولا عقاب ، وأفسدوا فى الأرض وضَلُّوا .

عند ذلك أرسَل اللّه إليهم رجلا منهم اسمه صالح . وكان رجلا طيِّبا عاقلا ، وكلُّهم يعرفونَه ، وذلك ليُرشِدَهم إلى عملِ الخير وتركِ الظلمِ والفساد ، وعبادةِ اللّه وحْدَه ، وتركِ عبادة الآلهةِ الكاذبة التى يعبُدونها من دونِ اللّه ، لأنَّ اللّه هو الذى أعطاهم كلَّ هذه النِّعَم ، وجَعَلَهم أقوى قبيلةٍ وأغناها بعد عادٍ قوم هود ، الذين هلكوا عندما عَصَوا اللّه وكفروا بنعمته .

٢

جَمَعَ صالِحٌ قومه وقال لهم :

ـ يا قوم اعبُدوا اللّه ما لَكُم من إلهٍ غيره ، واذكُروا إذْ جَعَلَكُم خُلَفاءَ من بعدِ عاد ، وبَوَّأَكم من الأرضِ (أى أعطاكم الأرض) تتّخِذونَ من سهولِها قُصورا ، وتَنْحِتون من الجبال بيوتا . فاذكُروا آلاءَ اللّه عليكم (أى نِعَمَ اللّه عليكم) ولا تَعْثَوا فى الأرض مُفْسِدين (أى لا تفسدوا فى الأرض) .

قالوا : يا صالح ، أتأمُرُنا أن نترُكَ عبادة الآلهة التى وجَدْنا آباءنا يعبدونها ؟

قال لهم : إنَّ هذه الآلهة لا تعطيكم شيئا ، ولا تأخذُ منكم شيئا . فكيف تعبدونَها وهى لا تضرُّكم

ولا تنفَعُكم ؟ ألا تفكرون بعقولكم قبل أن تعبدوا ما كان يعبدُ آباؤكم ؟

عند ذلك آمن به جماعةٌ من قومه ، وهم من الناس الفقراء الطيبين ، الذين لا يتكبَّرون ولا يعاندون ، أما الأغنياءُ الظلَمة فقالوا :

- يا صالح ، لقد كنّا نحترِمُك قبل أن تقول هذا الكلام ، وتطلبَ منا أن نتركَ آلهتنا وآلهة آبائنا ؛ ولكن خاب ظننا فيك ، ولا بد أنك أُصِبْتَ بالجُنون .

قال : يا قوم إننى لست مجنونا ، وما أريدُ إلا هِدايتَكم ، فاتقوا اللّه وأطيعون ، وما أسْأَلُكم عليه من أجر ، إنْ أَجْرِىَ إلا على ربِّ العالمين . وقد آمَن الناسُ الطيبون ، فلماذا لا تؤمنون ؟

قال الملأُ الذين استكبَروا من قومه ، للذينَ

اسْتُضْعِفُوا و آمَنوا منهم : أَتَعْلَمُونَ أنَّ صالحا مُرْسَلٌ من ربِّه ؟

قالوا : إنَّا بما أُرْسِلَ به مؤمنون .

قال الذين استكبروا : إنا بالذى آمنتم به لكافرون .

٣

ولم يسْكُت صالح ، فكان كلما قابلَ واحدًا أو جماعةً من قومه يُرشدُهم وينصحهم ، فبعضُهم يؤمن ، وبعضُهم يكفُر .

وكان الكفارُ يقولون للمؤمنين : هل تظنُّونَ أن الكلام الذى يقوله صالح صحيح ؟ وأن هناك إلَها يُحيينا يومَ القيامة بعد أن نموت ، ويحاسبنا على أعمالنا فى الدنيا ؟ لا .. لا تُصَدِّقوا ، فإننا لا نعيشُ

إلا مرةً واحدةً فى هذه الأرض ، فإذا متنا فلن نحيا مرةً أخرى .

كذلك كانوا يقولون لهم : لا تصدِّقوا صالحا فقد كان رجلا عاقلا ولكنه أصيب بالسِّحر ، وأصبح مجنونا ، يقول كلاما غير معقول ، فلا تصدِّقوه .

أما صالح فكان يقول للناس : لا تُطيعوا الأغنياءَ المفسدين المتكبرين ، وتعالَوا معى ليرضَى اللّه عنكم ، ويترك لكم النعمَ التى أعطاها لكم ، نِعَمَ الحدائقِ والزروع ، والقصورِ والبيوت .

ولما كثُر الكلام بينهم وبين صالح قالوا له :

ـ إذا أردْت أن نؤمن بربِّك ، فأظهرْ لنا معجزة ، تدل على أنك رسولٌ من عند اللّه ، فكل الأنبياء الذين قبلك جاءوا للناس بمعجزةٍ تدل على صدقهم فيما يقولون .

٤

دعا صالحُ ربَّه أن يعطيَهُ معجزة ، تدلُّ على أنه نبيٌّ ورسول ، وقال :

ـ يا ربِّ ، إن قومى كذَّبُونى ، ولم يؤمن بى منهم إلا قليل ، أما الآخرون فقد سمِعوا كلامَ الأغنياءِ المُستكبرين . فأعطِنى معجزةً يصدقُ بها الجميع .

قال له ربُّه : قلْ لقومِك يجتَمِعُوا عندَ الصخْرَةِ العظيمة خارجَ المدينة . وهناكَ ستظهَرُ لهم المعجزَة ، وستكون ناقةً ضخمةً جدا ، لم يروا مثلها ناقةً من قبل ، ضرعها مليءٌ باللبن الذى لا ينتهى أبدا مهما حلبوا منه .

ولكن اشترط عليهم شَرطَين اثنين : أن يتركوا لها الماء كله يوما ، ويشربُوا منه يوما ، فهذه الناقة

ستشرب من الماء قدرَ ما يشربون هم جميعا .

وعاد صالحٌ إلى قومه فأخبرهم ، ودعاهم أن يخرجوا إلى الجبل ، وينتظروا ظهور المعجزة هناك ، على الشروط التى شرَطها اللّه عليهم .

فَأَمَّا المؤمنونَ من قومِه ، فقد فَرِحوا لهذا الخَبَر ، وقالوا : إنَّ اللّه سيُظهِر الحقَّ ويُؤيِّد نبينا صالحا والذين آمنوا معه .

وأما المستكبرون الكفّار . فقالوا : كلامٌ فارغ ! وجنونٌ كامِل . وهل يُمكن أن تكون هناك ناقةٌ تشربُ هذا المقدارَ العظيم من الماء ، وضَرْعُها لا يجِفُّ من اللبن ؟ ألم نقُل لكم : إنه مجنون ؟

وأما بقيةُ الناسِ فقالوا : هيا بنا إلى الجبلِ لنرَى صِدقَ صالح من كَذِبه . ونتأكّد إن كان نبيًّا مُرْسَلا ، أم رَجُلا مجنونا .

وخرجَ الجميعُ إلى الصَّخرة ، ووقفوا ينتظرون .

٥

ونظَر الجميعُ فإذا بالناقةِ تخرُج عليهم ، وهي تُحدِثُ رُغاءً عاليا ، وتَسير أمامهم وقد اصطَفُّوا صفًّا طويلا ، وهم ينظرون إليها في دهْشَةٍ واستغراب ، ويَرَوْنَ ضرعها مليئا باللبن .

وكانت النساءُ قد أحضَرت القُدورَ لحلبِ اللبن ، فتقدَّمت واحدةٌ تحلب حتى يمتلئَ إناؤها ، والضَّرع مليءٌ باللبن كما كان .

ثم قَصَدَتِ الناقة إلى الماء الذى يشربون منه ، فلم ترفَعْ رأسها حتى شربت آخِرَ نقطةٍ منه ، وهم ينظرون ويتعجبون .

عندئذٍ صاح الناس : صدقَ صالِح . صدقَ صالح . إنه رسولٌ من عند اللّه ، وهذه ناقة اللّه .

وأما المتكبرون الكفارُ فقد اغتاظوا غيظًا شديدا ولم ينطقوا بكلمةٍ واحدة ، وازرقّت وجوهُهم من الكَمَدِ والألم ، وانصرفوا .

٦

عاشت الناقةُ العجيبةُ بين قومِ صالح ، تأخُذُ منهم الماءَ يومًا وتتركهُ يوما ، وفى نظير ذلك تُعطيهم اللبن الذى يريدونَه لهم ولأطفالهم ، ولا يجفُّ ضرعُها من اللبن أبدا .

وصالح مسرور ، يقول للناس : هذه ناقة اللّه لكم آية . فَذَرُوها تَأكُل فى أرض اللّه ولا تَمَسُّوها بسوءٍ ، فيأخذكم عذابُ يومٍ أليم .

وكان فى المدينة تسعةٌ من المُفْسِدين ، يعملونَ أعمالا رديئة ، ويُفسِدونَ فى الأرض ، ويشربون الخمر ، ولا يؤمنون باللّٰه .

وفى ليلةٍ اجتمعوا وسَكروا وقالوا : لا يجوز أن نترُكَ صالحًا وناقتَه هكذا . فهذه الناقة تضايقنا ، وتأخذ منا الماء ، وتحرِمُنا نِصفه دائما . فتعالَوا نقتُلها ونقْتُلْ صالحا وأهل بيته لنستريحَ منهم جميعا .

قال أحدهم : ولكن أقاربَ صالح سيأخذون الثأرَ إذا نحن قَتلناه .

قال آخَر : هناكَ حِيلَةٌ أُرشِدكم إليها . نقتل الناقة ونقتُل صالحًا وأهل بيته فى ظلامِ الليل ، فلا يَرَونَنا ولا نراهم بسببَ الظلام ، فإذا سألَنا أحدٌ من أقربائه قلنا : نحن لم نُبصِرْه ولم نُبْصرْ أحدًا من أهلِ بيته . ونحن صادِقون لأننا لم نبصرهم فى الظلام ، وأقرباؤه لم يعرفوا من الذى قتَلَه .

٧

وقبل الفجرِ ذهبَ أحدُهم فرمى الناقة بسهم ، فصرخَت صرخَة عظيمة ، فسَمِعها صالح ، فقام من نومه مفزوعا ، وجاءَ معه الناسُ الذين سمِعوا صرخة الناقة ، فهرب التِّسعة المفسدون .

ووجد صالحٌ ناقَته مقتولَة ، فحزن حزنًا شديدا ، وعرَف أنَّ اللّه سيُعاقب ثمود على فِعلَتِها .

وقد أوحَى اللّه إليه أنْ يَأْخُذَ المؤمنين معه ، ويَبْعُدَ عن المدينة ، لأنَّ اللّه سيُهلِكُ من فيها بعدَ ثلاثةِ أيام .

فقالَ لقومِه : لقد غضِبَ اللّه عليكم ، وبعدَ ثلاثةِ أيام يحلُّ عليكم العذاب .

ولمّا انقَضَت الأيام الثلاثة ، سمِعَ الناسُ صَرخةً عظيمةً هائلةً مخيفة ، فارتَجَفوا وخافوا ، حتّى إنَّ

قلوبَهم تَقَطَّعَت وسقطت من الرعب ، وانحنوا على رُكَبِهم من شدَّة الألم ، وماتوا وهم على هذه الصورة .

وبقيت منازِلهم المنحوتة فى الصخور . شاهدةً عليهم ، وعلى ظلمِهم وكفرِهم ، والعذابِ الأليم الذى حلَّ بهم .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

ابراهيم يبحث عن الله

٦

عبد الحميد جودة السحار

القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

ابراهيم يبحث عن الله

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

كان إبراهيم صبيًّا ، وكان يرى أباه وأهلَـه وقومَـه يصنعونَ أصناما مـن الحجـر ثـم يعبُدونهـا ؛ وهـو لا يعرف إنْ كانت هذه الحجارةُ آلهةً أم لا !!

فلما كبر وصـار فَتـى ، فكـر فـى نفسـه ، وقـال : هذه الأصنامُ أصلها حجارة ، وأنا أعرف هذا ، وهى تُصنَع أمامى من الحجارة ، فكيف تكـون آلهـة !؟ . وهل الإنسان هو الـذى يصنـعُ الإلاهَـه ، أم الإلـه هـو الذى يصنع الإنسان !؟ ، لا بدَّ أن اللّه الـذى خَلَقَنـا شىءٌ آخر غير هذه الأصنام ، ولا بد أن أبحـث عنـه حتى أجدَه ، وأشكرَه وأصلِّىَ له . ومن هـذا الوقـتِ صار يبحثُ عن اللّه الذى خلق الإنسان .

٢

وفى ليلةٍ من الليالى كان جالسا وحدَه يفكرُ ويقول لنفسهِ : مَن هو اللّه ؟ وأين هو يا تُرَى ؟

وفجأةً لمَعَ أمامَ نظرِه فى السماءِ كوكبٌ براق ، فنهض واقفا ، وأشارَ بيديه إلى الكوكبِ وهو فرحان ، وقال : هذا ربِّى لقد وجدْتُه ؛ إنه يلمَع فى السماء من بعيد . إنه جميل وليس مثل الحجارة التى يقولون إنها آلهة . وهو لا يتكسَّرُ مثل هذه الأحجار . وراح يصلى لهذا الكوكبِ وهو منشرحُ الصدر ، ويقول : الحمد لله الذى وجدتُه فى السماء مضيئا لامعًا جميلا . ولكن هذه الفَرحة لم تتم ؛ فقد نظر إبراهيمُ فوجدَ الكوكبَ اللامعَ قد غاب ، واختفى عن نظرِه ، ولم يعد يراه ، فصرخ : يا إلَهى !.. يا إلَهى . أين تذهب وتتركنى هنا

وحدى ، وقد ظللتُ أبحثُ عنكَ أياما وليالىَ حتى وجدتُك . لا تغب يا إلَهى . استمع إلى صُراخى . يا رب .. يا رب ... ولكن الكوكب لم يسمعْ ولم يرجع ! عندئذ قال إبراهيم : لا . ليس هذا إلَهى . إنه يأفَلْ (أى يغيب) وأنا لا أحب الآفِلين .

ومَضى يبحَثُ عن اللّه من جديد .

٣

ومرّت الأيامُ والليالى وإبراهيمُ يبحث . يبحث فى كل مكان . فى الجبالِ والوديان . وفى السماءِ وفى الأرض . وينظر هنا وهناك . ولكنه لا يرَى اللّهَ .

وفى ليلةٍ جلَسَ وحَدَه حزينا يفكر . وفجأة ظهر القمرُ مستديرًا كاملا فأنارَ الدنيا حولَ إبراهيم . فانتبهَ فرأى القمر بازغا . قال : هذا ربِّى ! فكيفَ لم ألتفِت إليه من قبلُ يا تُرى ، وهو يطلعُ فيُنيرُ الظلامَ .

ويملأُ الدنيا بالنور . وهو جميلٌ وعالٍ فى السماء .
ونوره يذهبُ إلى كل مكان . وراح إبراهيم يصلى
وهو فرحان . يحسَب أنه وجد اللّه الذى كان
يبحث عنه من زمان . لكن هذه الفرحة لم تتم . فقد
نظرَ إبراهيمُ فوجَدَ القمرَ يميلُ شيئا فشيئا نحو
المغيب . ولما بدأ يهبِط ويغيب زعق إبراهيم : يا
إلَهى لا تغبْ وتتركنى فى الظلام وحدى . ابقَ يا
إلَهى فى السماء حتى أذهب إلى أبى وأخبره أننى
وجدتك . ابق يا إلَهى . ابق يا إلَهى .

ولكن القمرَ كان قد غاب ، وترك إبراهيمَ وحده
فى الظلام . وبكى إبراهيم ، وهو يقول :

ـ إنه لم يكن إلَهى . لقد أفَلَ وغاب . وإذا كان
ربِّى لا يُعَرِّفنى طريقَه ، فسأبقى ضالاًّ لا أراه .

ثم أخذ نفسَه وعاد إلى دارِ أبيه ، متألما حزينا .

٤

كان الجوُّ صيفا . فنام إبراهيم على سطح الـدار ، واستيقظ مبكرا قبل طلوع الشمس ؛ يفكِّر فى اللّه ، وأين يكون . وفجـأةً أشرقت الشـمسُ مـن الشـرق كأنَّها كرةٌ ملتهبةٌ ضخمة . فهتف إبراهيم : هذا ربِّى هذا أكبر . هذا ربى الذى يُرسلُ الضـوءَ والحـرارة ، فيَنْبُتُ الـزرع ، ويَدْفَأ النـاس ، وتصـير الدنيا كلهـا نورا . هذا ربى وقد وجدْته أخيرا . فـالحمد للـه ... الحمد لله . وراح أبراهيمُ يُصلِّى وهـو فرحـان . ثـم خرج إلـى الشـوارع وإلـى الحقـول وإلـى الجبـال ؛ ليرى النورَ والحرارة فى كل مكـان وفـى كـل جهـة يُوَجِّه وجهَهُ للشمس ويصلِّى ، ويقول : الحمد لله . لقد وجدتُك يا إلَهى . الحمد لله .

ولكن هذه الفرحـــة لم تتم . فإن الشمـــس قـد

أخذَت تميلُ للغروب ، واصْفَرَّت وضَعُفَت أشعتها . ولمَّا غابت عن القريـة ، خـرج إبراهيـم يجـرى إلـى الحقول ، فوجـدَ آثـارَ الأشـعةِ لا تـزال باقيـةً فيهـا . ولكـن بعـد قليـل اختفـت الشـمسُ وراء الجبـل ، فجرى إبراهيمُ وصعد الجبل ، فوجد آثار الأشـعة لا تزالُ باقية فيه . ولكن بعد قليل اختفت هذه الأشـعةُ أيضا . وأظلَمت الدنيـا كلُّهـا حـول إبراهيـم . وهـو وحيد . عند ذلك قال إبراهيم : لقد وجـدتُ اللّـه : إن اللّـه ليسَ هـو الأصنـامَ وليـس هـو الكواكـب ، وليَس هو القمر ، وليس هو الشمس .

اللّه الذى خَلَقنى موجود ، ولكنى لا أراه .

موجود فى كل مكان ، وقادر على خلق كل شىء ولكن لا أقدر أن أراه . هذا هو اللّـه . وراح يُصلّـى فوق الجبل وحيدا ، وقلبُه لا يخاف .

٥

عاد إبراهيمُ إلى دارِ أبيـه هادئـا فى هـذه المـرة ، فنام مستريحَ البال . وفى الصبـاح وجـدَ أبـاهُ يصلّـى أمامَ الأصنام ، فـانتظر حتـى انتهـى أبـوهُ مـن صلاتِـه وذهبَ إليه يُكلّمه فى عِبادة اللّـه وعِبـادةِ الأصنـام . ودار بينهما هذا الحديث .

ـ ﴿ يا أبَتِ لِـمَ تَعْبُـدُ مـا لا يسـمَعُ ولا يُبصِـر ولا يُغنى عنكَ شيئا ؟ ﴾ .

ـ هذه آلهتى وآلهةُ آبائى .

ـ ﴿ يا أبَتِ إنّى قد جاءَنى من العِلْمِ مـا لـم يأْتِكَ فاتّبِعْنى أَهْدِكَ صِراطًا سوِيًّا ﴾ .

ـ أنـت تهدينـى طريقًـا مسـتقيما ! أنـت الولـدُ الصغير ! تعرفُ أكثرَ منى ؟

ـ ﴿ يا أبَتِ لا تعبُـد الشيطان ، إنَّ الشيطانَ كان

للرحمنِ عَصِيّا . يا أَبَتِ إِنى أخافُ أنْ يَمَسَّكَ عذابٌ من الرحمنِ ، فتكونَ للشيطان وليًّا ﴾ .

ـ أسمعُك تتحدث عن الرحمن ، فمن هو الرحمَنُ هذا الذى تحدثنى عنه ؟ ، وهل كفرتَ بآلِهَتى وكرهتها يا إبراهيم ؟

ـ إنَّ الرحمن هو اللّٰه الواحدُ الأحَد ، وقد هدانى إليه ، فعَرَفْتُه بعد أن بحثْتُ عنه فى كلِّ مكان .

ـ اذهب . اذهب عنى . وإذا لم تذهب فسأَقتُلُكَ قتلا . اذهب بعيدا عنى . قلت لك !

ـ ﴿ قال : سلامٌ عليك . سَأَستَغْفِرُ لكَ ربِّى إنّهُ كان بى حَفِيّا ﴾ .

٦

ذهبَ إبراهيمُ إلى المَلِك والكُبَراء الذين معه ، وهم جالِسونَ أمامَ الأصنام فى المعبَد يُصلُّون . ليُعْلِمَهُم أنَّ هذه الأصنامَ ليست آلهة ، وأنها لا تنفَعُ ولا تضُر . وأنَّ اللّه الذى يجبُ أن يعبدوه هو الذى خلَقَ السموات والأرض . وخلَقَ الناسَ وخلقَ كلَّ شىء . ﴿ قال : ما هذه التماثيلُ التى أنتم لها ﴾ . ﴿ قال : لقدْ كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلالٍ مُبين ﴾ . ﴿ قالوا : أَجئْتنا بالحقِّ أم أنت من اللاّعِبين ﴾ . ﴿ قال : بل ربُّكم ربُّ السَّموات والأرض الذى فَطَرَهُنَّ (يعنى خلقهنَّ) وأنا على ذلك من الشاهدين ﴾ .

قال الملك : ـ ماذا يصنعُ ربك هذا فى الدنيا ؟

قال إبراهيم : ﴿ ربِّى الذى يُحيى ويُميت ﴾ .

قال : ﴿ أنا أُحيى وأُميت ﴾ .

ثم أمرَ بإحضار رجلين من الفقراء فحضرا وأمر السياف أن يَضرِب عُنق أحدهما ويتركَ الآخر . ثم التفت إلى إبراهيم قائلا :

- أرأيتَ ؟! لقد أمَتُّ واحدًا وأحيَيْتُ الآخر !

﴿ قال إبراهيم : إنَّ ا للّهَ يأْتى بالشمس من المشرق فأْتِ بها من المغرب ! ﴾ .

عند ذلك بُهِتَ الملكُ ، ولم يستطع الإجابة فقال لأتباعه : أبعدوا هذا الرجل عنى . فطردَه الحرسُ بالقوة بعيدا .

٧

وصبرَ إبراهيمُ حتى انصرفَ القومُ من المعبد وجاءَ بفأْسٍ كبيرة ، وراح يضربُ الأصنامَ يمينا وشمال ،ولم تمضِ ساعةٌ حتى كانت الأصنام كلُّها قد تحولت فُتاتا ؛ إلا أكبَر الأصنام فلم يُحَطِّمْه إبراهيم ، بل تركه واقفًا

وحده ، ووضع الفأْسَ فى عنقه وتركه ومضَى ونامَ مطمئنا.

وفى الصباح جاءَ الملكُ والقومُ إلى المعبَدِ يصلُّون ، ونظروا فوجدوا الآلهةَ كلها مفتَّتة ، والأرضَ مملوءَةً بقطع الأحجار .

قالوا : ﴿ من فَعَلَ هذا بآلِهتنا ؟ ﴾ .

قال بعضُهم : سمِعنا بالأمسِ فتىً يُقال له إبراهيم ، يُهَدِّدُ بأنه سيحطمها . قالوا : فأْتوا به أمامَ الناسِ ليَكونوا شاهدينَ على جريمته الكبيرة . وجاءُوا به ، فسألُوه :

﴿ قالوا : أأنْتَ فَعَلْتَ هذا بآلِهَتِنا يا إبراهيم ؟ ﴾ ، ﴿قال : بل فَعَلَهُ كبيرُهم هذا (وأشارَ بإصْبَعِه الأكبر) ، فاسألوهم إن كانوا يَنْطِقُون ﴾ .

قالَ بعضُهم: يظهر أنه صادِقٌ فيما يقول وأنه مظلوم .

ولكنهم رجعوا فقالوا : لقد علمتَ أنَّ هؤلاءِ

لا ينطِقون . فكيف نسأَلهم وهم لا يتكلمون ؟!

قال : وإذا كانوا لا يتكلمون ، ولا يقدرون أن يحموا أنفُسَهم من التكسير ، فكيف تعبدونَهم ؟ ﴿أفَتعبدونَ من دونِ اللّه ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضُرُّكم ؟ ، أُفٍّ لكمْ ولما تعبدون من دونِ اللّه ، أفلا تَعقلون ؟﴾ .

﴿قالوا حَرِّقوه وانصروا آلهتَكُم إن كنتم فاعلين﴾ .

٨

أمرَ الملكُ بالقبْضِ على إبراهيم وحَرْقِه ، فأَمسَكُوه وبعثُوا الحطابين لجمع الحطب وفروعِ الأشجار الجافة ، وجمعوا أكوامًا كثيرة منها وأشعلوا فيها النار .

وعَرَف الناسُ فى جميعِ الجهاتِ بميعاد حرْق إبراهيم فتجمَّعوا جموعا كثيرة، ليشاهدوا هذه الحادثة العظيمة، ووقفوا حولَ النار من بعيد .

ولما اشتعل الحريق وصارت له حرارة شديدة ، لا يُطيقُها الناس ، جاءَ أربعةٌ من الرجال الأشِدَّاء ، فوضَعُوا إبراهيمَ فى المنجنيق ، وقذفُوا به فى النار ، فوقَع فى وسطِها . فهاصَ الكفارُ وزاطوا ، وقالوا : ذهبَ إبراهيم إلى النارِ التى كان يقول لنا إنكم ستدخلونها . هاهاها .

قال اللّه تعالى :

﴿ يا نارُ كونى بَرْدًا وسلاما على إبراهيم ﴾ .

وما يشعُرُ الكفارُ إلا وإبراهيمُ جالسٌ فى وسطِ النار ، والنارُ لا تَمَسُّهُ بسوء . ونظَرَ بعضُهم فوجَدَ إبراهيم يصلّى لله وهو فى وسَطِ النار . فلم

يصدِّقوا . وفركوا أعينَهم وعادوا ينظُرون .

- إنه حيٌّ لم تُحْرِقْه النار ! عجيبة !

- لا تقولوا هذا يا ناس ، كيف لا تحرقه هذه النيرانُ الشديدة ؟ ، وحق الآلهة : إنه لحيّ ، انظروا ، ها هو ذا يُصَلِّى ! ، إى واللَّه إنَّهُ يُصَلِّى !

- هذا شيطانٌ . شيطان لا تحرقه النار . هيا بنا اجروا اجروا وابتعدوا عنه ؛ لئلا يحرقكم . وهربوا جميعا .. ولكن اللَّه أهْلَكَهم ، ولم يُنْج إلا إبراهيم الذى هَجَرَ البلْدَة كلها وذهَبَ بعيدا .

٩

وفى مرَّةٍ خَطَرَ على بالِ إبراهيمَ أن يسألَ ربَّه : كيفَ يُحيى الموتى بعد موتِهم ويبعثهم يومَ القيامة ؟

قال : ﴿ أوَ لم تؤمِن ؟ ﴾ .

قال : ﴿ بَلَى ، ولكنْ لِيَطمَئِنَّ قلبى ﴾ . فَأَمَرهُ اللّه أنْ يأْتِيَ بأَربعةِ طيور فيذبَحَها ويقطَعَها . بعدَ أن يعرِفَ شكلَها تماما ، ويضَع على كلِّ جبلٍ جزءًا منها . ففعلَ إبراهيمُ ذلك .

ثم قال له اللّه : ﴿ ادعُهُنَّ يأْتِينَكَ سعيا ﴾ . فدعاهُنَّ إبراهيم ، فإذا الطيورُ الأربعة تأتى إليه تمشى على أرجُلِها كما كانت من قبل حية .

قال : آمنْتُ أنَّ اللّه على كلِّ شيءٍ قدير .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

فداء إسمعيل

عبد الحميد جودة السحار

٧

القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

فداء إسماعيل

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

تزوج سيدُنا إبراهيمُ من السيدة سارَّة ، وعاش معها ، حتى كبِرا فى السِّن ، ولم يكن لهُما ولد .

وكان للسَّيدة سارة جاريةٌ تُسمى هاجَر . فقالت لزَوجِها : ها نحنُ قد كبِرنا فى السِّن ، وليس لنا أولاد ، لأنَّنى أنا عقيمٌ لا أَلِد ، فتَزوَّج هذه الجارية ، لعلَّ اللّه يرزُقُكَ منها بغلامٍ نفرحُ به فى حياتنا .

قال لها إبراهيم : لا يا سارة . إننى أخشى أن تَغارِى من هاجَر إذا هى ولَدَت وأنتِ لا أولادَ لك . ولو كانَ اللّه يُريدُ أن يُعطيَنا أولادا لأعطانا .

قالت سارة : لا لا يا إبراهيم . إننى لن أغار بل سأفرَحُ إذا وَلدت هاجر ، وأعطانا اللّه غلاما نفرحُ به جميعا .

عند ذلك تزوَّج إبراهيمُ من هاجر ، فحمَلت بإسماعيل ، ولم يكن إبراهيم يعلم أنها حملت .

٢

وفى ليلةٍ كان إبراهيمُ جالسًا أمامَ خيمَتِه ، وزوجُه سارةُ فى داخلِها ، وإذا بثلاثةِ رجالٍ شبان يقولون :

ـ السلامُ علَيكَ يا إبراهيم .

قال : وعليكم السلام . تفضَّلوا .

وأمَرَ إبراهيمُ أحَدَ أتباعه ، فذَبَح عِجْلا سَمِينا ؛ ليقدِّم لهم منه طعاما ، ويعملَ لضيوفِه وليمة .

ولَّما حضر الطعامُ قدَّمَ إليهم إبراهيم فلم يأكلوا ؛ فتخوَّف إبراهيمُ منهم وظَنَّهم رجالا شرِّيرين أو لصوصا ، يقصدونَ قتلَه أو سرِقَتَه ، ولذلك لم يأكلوا من طعامِه .

فقال : مَن أنتم ؟

قالوا : نحنُ ملائِكة ، وقد جئنا لنُبَشِّرَك بغلام .

قال : لا تسخَروا منى ولا تستهزئوا بى . كيف تبشروننى بغلامٍ وأنا رجلٌ شيخ .

قالوا : إنَّ اللّه يُريد .

وسمعت السيدة سارَّة ذلك فضحكت واستغرَبت . فقال الملائكة لها : وأنتِ كذلك ستلدين ولدا اسمه إسحاق ، الذى سيلِدُ يعقوب . فلَطَمت وجهها وقالت :

﴿ يا ويْلَتا أَأَلِدُ وأنا عجوز ، وهذا بَعلى شَيْخا ؟ ﴾

قال الملائكة : وهل تستكثرينَ هذا على اللّه ؟

قال إبراهيم : والآن إلى أين أنتم ذاهبون ؟

قالوا : إنّا ذاهبونَ إلى قَريةِ ابنِ أخيكَ لوط ، لنُهلِكَ قومَه الكفّار ، فلا ينجُو إلا هوَ والناسُ

الطيبون ، أما بقيةُ قومه الذين يعملونَ أعمالا رديئة ، فإنّهم سيُهلَكون جميعا ؛ وإنَّ موعِدَهم الصُّبحُ ؛ أَلَيسَ الصُّبْح بقريب ؟

٣

بعد عِـدَّةِ أشْهُرٍ ولـدت هـاجرُ ولَـدًا ، سمَّاه أبـوه إسمـاعيل . وكـانت سـارة لم تلِـدْ إلى هـذا الوقـت ؛ فَفرِح إبراهيمُ بإسماعيلَ فرحا عظيما ؛ وأخَذَه وذهَب ليُرِيَه لزوجتهِ سارَّة . ولكنَّ سارَّة غارَتْ غَيرةً شديدةً حينَ رأتْ الطفلَ ؛ وقالت لإبراهيم : إمَّا أنا فـى هـذا البيت ، وإما هاجَرُ وولَدُها . اذهَبْ بهما بعيدا عنى ، فأنا لا أُطيقُ أن أنظُرَ إليه ، ولا إلى أمِّه الجارية .

وحاوَلَ إبراهيمُ أن يُرضِيَها فلم تقبَلْ فتوكَّـلَ على اللّه ، وأخـذَ هـاجَرَ وابْنهَا إسمـاعيل ، وذهَب بهمـا

بعيدا فى الصحراء ، وصنع لهما خَيمةً قُرْبَ المكانِ الذى فيه الكعبةُ الآن .

وقبلَ أن يترُكَهما فى الخَيمة ويمشى ، راحَ يُصلِّى لله ويدعوه ويقول :

﴿ ربَّنا إنِّى أسْكَنْتُ من ذُرِّيَّتى بوادٍ غيرِ ذى زَرْعٍ عندَ بيتِكَ المُحَرَّم ؛ رَبَّنا لِيُقيموا الصَّلاةَ ، فاجعَلْ أفئِدَةً من الناسِ تَهْوى إليهم ، وارزقهم من الثَّمراتِ لعلَّهم يَشكرون ﴾ .

٤

وعادَ إبراهيمُ إلى بيته ، وبعدَ فترةٍ ولَدَت سارَّةُ ولَدًا سمَّاهُ أبوهُ إسحاق ، وفرح فرحًا عظيمًا ، ورضِيَت سارَّةَ واطمأنَّت .

أما هاجَرُ فعاشَتْ أيامًا مع طِفلِها إسماعيل ، حتى

نَفِدَ الماءُ الذى تركَهُ لهما إبراهيم ، وعطِشَتْ فجفَّ لبَنُها ، وعطِش الولدُ وجاع ، ولكنْ أينَ الماءُ فى هذه الصحراء ؟

تَركت هاجَرُ طفلَها فى الخَيْمة ، وخرجَتْ تبحثُ عن الماءِ فى الصحراء ؛ فلم تجِدْ للماءِ أثرا ، وكانت الشمسُ ساخِنةً والجوُّ مُحْرِقا ، وكلَّما فكَّرَت فى أن تعودَ إلى الخَيمة قالت : وإسماعيل ؟ كيف أرجع له من غير ماء ، فيموتَ من العَطشِ وهو طفلٌ صغير .

وراحت تسعى بين جبل الصفا وجبل المروة سبع مرات ، وهى تبحثُ عن الماء فلا تجده .

وأخيرًا جفَّ ريقُها ، وانعَقَدَ لسانُها من العطش ، فعادَت وهى مُتْعَبَة ، تسيرُ قليلا وتقَعُ على وجهِها فى الرمال ، ثم تنهَض فتسير .

وبَعْدَ جُهدٍ شديد قرُبَت من الخيمة وهـى تظُـنُّ أنَّ إسماعيلَ طفلَها قد مات من الجوعِ والعطش ، لأنّها لم تُرضِعْهُ من زمنٍ طويل .

* * *

ولكنّها نظرت فدهِشَتْ : هـذا هـو إسمـاعيلُ يحْبُـو ويَبْتَسِم ويُشيرُ لها بيديه ! كيف لم يمُتْ يا أللّه ؟

لم يمتْ لأنّه وهو يَحْفِرُ بأصابعه فى الرمـال ، نَبَعَـتْ عَـينُ زَمْـزَم ، وفـاضَ منهـا المـاء ، فشـرِبَ منـه و « بطبط » بيديه ورجلَيه .

وارتمتْ هاجَرُ على الماءِ تشربُ وتشرب ، ثم تضُمُّ إسماعيلَ وتُقَبِّلُه وتقول : الحمدُ لله ، الحمدُ لله .

٥

مرَّ جماعةٌ من الأعراب بهذا المكان . فوقَعَ نظرُهُمْ على الماءِ يفيضُ من بئرِ زمزم ، وكانوا يعرفونَ أنَّ هذه الجِهَةَ ليسَ بها ماءٌ ولا زَرْع ؛ فاستَغْرَبوا وذهبوا إلى خيمةِ هاجر ، فسألوها : من أينَ جاء هذا الماء ؟ فأخبَرَتهم بالقصة ، فقالوا : هذا طِفلٌ مبارَكٌ سعيد .

ونصبوا خيامهم بجانب الماء ، وبجانب هذا الطفلِ الذى ينبُع على يديه الماء . وسَمِعَ اللّه دعاء سيِّدنا إبراهيم ، فجعلَ قلوبَ هؤلاء الأعرابِ تميلُ إلى إسماعيلَ كما قال : ﴿ واجعلْ أفْئِدَةً من الناسِ تهوِى إليهم ﴾ . وامتدت الخيامُ حولَ خيمَةِ هاجر ، وأصبحَتْ قريةً كبيرة .

وجاءَ إبراهيمُ بعدَ فترةٍ ليرى ماذا جرى لابنه

وزوجتِه هاجَر . فلمَّا رأى هذه الخيامَ الكثيرةَ لم يَعرِفَ المكان ، وظنَّ أنهُ تاه ، وأرادَ أن يَنصَرِف . ولكنه سألَ واحِدًا من الأعراب ، فأخبَرهُ أن هاجَرَ وإسماعيل هنا ، ودلَّه على خيمتهما .

ولَّما قابَلَهما ضَمَّهما إلى صَدْرِه وبكى ، وعرَفَ أنَّ اللَّه استجابَ دعاءَه ، فصلَّى لله ركعتين فى مكان الكعبة التى يَحُجُّ المسلمون الآن إليها .

ثمَّ عادَ مطمئِنًّا .

٦

اعتادَ إبراهيمُ أن يأتِيَ كل عامٍ مرة إلى هذا المكان ، ليرى ولدَه وزوجَته ، ويصلِّيَ لله فيه .

ومرَّت السنوات ، وصارَ إسماعيلُ فتىً صَبُوحًا جَميلا ، وكان مؤمنًا باللّه ، لا يَعْبُدُ الأصنام ، بل

يعبُد اللّه ؛ لأنَّ أباهُ علّمَهُ الصلاةَ لله وهو صغير .

وفى ليلةٍ كان أبراهيمُ نائِمًا، فرأَى فى منامِهِ هاتِفًا يقولُ له : إنَّ اللَّه يأْمُرُكَ أنْ تذبَحَ ابنَكَ إسماعيل .

ونهَضَ إبراهيمُ من نومِهِ فقال : يا ربِّ ، إذا كنتَ تريدُ أن أذبح ابنى فإنِّى مُطيع . ثم نامَ ثانيةً فرأى هذا الهاتف يقول له : إنَّ اللّه يأْمُرُكَ أن تذبَحَ إسماعيل. فنهضَ من نومِهِ وصلى ركعتين وقال :

يا ربِّ ، إذا كنت تريد أن أذبحَ ابنى فإنِّى مُطيع .
ثم نام ثالثةً فرأى الهاتفَ يقول له : إنَّ اللّه يأْمُرُك أن تذبَحَ ابنَك إسماعيل .

فنهض وهو يقول : الآن لا بد لى أن أطيع .

٧

ذهبَ إبراهيمُ إلى مكان إسماعيل ، واستصحبَه معه إلى خارج الخيام ، وصعد به إلى قمَّة الجبل . وهناك قال له : ﴿ يا بُنَىَّ إنى أَرى فى المنام أنى أذبَحُك . فانْظُرْ ماذا ترى ؟ ﴾ .

﴿ قال : يا أبَتِ افعَلْ ما تُؤْمَر ، ستَجِدُنى إن شاءَ اللّه من الصَّابِرين ﴾ .

ولم يُرِدْ إبراهيمُ أن يرى ابنهُ السِّكِّين ، فَرَبَط يديه خلْفَه ، ونَكَّس وجهَه إلى الأمام على الصَّخرة ، وأخرَجَ سكينته الماضية ، وتشَجَّع ، وقالَ : يا ربِّ هأنذا أُنَفِّذُ إرادَتَك . ثم نَزلَت يده بالسكين .

وقبل أن تصِلَ إلى عُنق إسماعيلَ سمِعَ إبراهيمُ هاتفا يقولُ له : ﴿ يا إبراهيم قد صَدَّقْتَ الرؤيا ... ﴾ .

ونظَرَ فإذا كبشٌ عظيمٌ فى يَدَىْ مَلَك ، وهو يقول له : اذبح هذا الكبشَ بدلا من إسماعيل . فلقد فداهُ اللّه به لِيعِيش .

ولَقَط إبراهيمُ نفسَه ، وفكَّ رِباطَ ابنِه ، وتَسلَّمَ الكبشَ فذَبَحه ؛ وراح يُصلِّى شكرًا لله على فِديتِه .

ومن يومِها ونحن نضحِّى كبشًا فى عيدِ الأضْحَى ، شكرًا لله على نجاةِ إسماعيلَ ، ونُطْعِم لحمَه للمساكين .

٨

بعدَ ذلك أمَرَ اللّه إبراهيمَ وإسماعيلَ ببناءِ الكعبة .

فراح كلٌّ منهُما يقطع الأحجارَ ويعجِن الملاط .

وأخذ البناءُ يرتفع يومًا بعدَ يوم ، وإبراهيمُ وإسماعيلُ فَرِحانِ بتنفيذِ أمْرِ اللّه ، وهما يصلِّيان ويدعوان :

﴿ ربَّنا تَقَبَّلْ منا إنَّك أنت السميعُ العليم . ربَّنا واجْعَلْنا مسلِمَين لك ، ومن ذريَّتِنا أمَّةً مُسلِمَةً لك ﴾ .

وبعدما انتهى البناءُ كُله ، قال اللَّه لإبراهيم : هذا بيتى عَرَّفْتُكَ مكانَه ، وسَلَّمتُه إليك لتبنيه ، وأمَرْتُكَ :

﴿ أن لا تُشْرِك بى شيئا ، وطَهِّرْ بيتىَ للطَّائِفينَ والقائِمينَ والرُّكَّعِ السُّجُود . وأذِّنْ فى النَّاسِ بالحجِّ يأتوكَ رِجالا وعَلَى كلِّ ضامِرٍ يأتِينَ من كلِّ فَجٍّ عميق ﴾ .

وأذَّنَ إبراهيم فى النَّاسِ بالحج ، فجاءَ الناسُ من كل مكان . وعلَّمَ اللَّه إبراهيمَ وإسماعيلَ طريقةَ الحج ، فكانا يُعَلِّمان الناسَ كيف يَحِجُّون .

ومن ذُرِّية إسماعيلَ جاءَ نبيُّنا محمدٌ ﷺ ، ومن ذُرِّية إسحاقَ كان يعقوب ويوسُف وموسَى وداودُ وسليمان .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

يوسف الصديق

٨

عبد الحميد جودة السحار

١

كان ليعقوبَ من البنينَ اثنا عشرَ ولَدًا ذَكَرا ، وكان يوسُفُ وأخوه بِنْيامِينُ أصغرَهم ، وكان يعقوب يُحبُّ يوسُفَ أكثرَ من إخوتِه ، ويُظهِرُ هذا الحبَّ ، فَيَغارُ إخوتُهُ منه . وفى ذاتِ ليلة ، دخل يوسُف فى فراشِه ونام ، فرأى حُلْمًا عجيبا ، فلمَّا قام من نومِه ذهَب إلى أبيه وقال له :

﴿ يا أبَتِ إنى رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا والشمسَ والقمَرَ ؛ رأيتُهم لى ساجدين ﴾ .

ففكَّر يعقوبُ فى حُلمِ يوسُف ، فَعَرَف أنَّ اللَّه سيجعلُه عظيما فى الدنيا والآخرة ، ولمَّا كان يعقوبُ

يعرف أنَّ إخوة يوسُفَ يغارونَ منه ، خافَ أن تَدفَعَهم الغَيرةُ ويحرضهم الشيطان فيُؤذوه ، فقال له :

﴿ يا بُنىَّ لا تَقْصُص رؤياكَ على إخْوَتِك ، فيكيدوا لك كَيْدا ، إنَّ الشيطانَ للإنسانِ عدوٌّ مُبين ﴾ .

وسكت يعقوب قليلا ، ثم قال ليوسف :

ـ لقد أراك الله هذه الرؤيا العظيمة ، فإذا كتمتها يخصُّك ربُّكَ برحمَته ، ويُعلِّمُكَ تفسيرَ الأحلام ، ويُتِمُّ نعمَته عليك ، وينالُ آلَ يعقوبَ بسببِك الخيرُ الكثير .

سيجعلك الله عظيما ، ويُعطِيكَ النُّبُوَّة كما أعطاها لأبَوَيكَ من قبلُ إبراهيم وإسحاق .

واستمرَّ يعقوب يكلم يوسف ، ويوسُف يسمعُ منه ، ويُفكِّر فى هذا الحلمِ العجيب .

٢

كـــان يعقـــوبُ يحتضـــنُ يوسُـــفَ وأخـــاهُ بنيـــامينَ ويُلاعِبُهُما ، وكان أولادُه ينظرونَ إليه وهو مشـــغولٌ عنهم بهما ، فيُحِسُّون غيظـــا ، لأنَّ يوسُـفَ وبنيـامين انفـــردا بحبِّـــه ؛ وتـــرك الأولادُ المكـــان ، وخرَجـــوا يتحدَّثون ؛ فقال أحدهم وهو غضبان :

ـ إنَّ أبانا يُحبُّ يوسُفَ وأخاهُ أكثرَ منا .

وقال آخرُ في غيظ :

ـ إننا جماعة ، وإننا أحقُّ بالمحبَّةِ من يوسُفَ وأخيه .

وقال ثالث :

ـ إنَّ أبانا لَفِي ضَلالٍ مُبين .

وقال رابع :

ـ اقتلــوا يوسُــفَ ، أو أبْعِـدُوهُ إلى أرضٍ لا يرجِـعُ

منها ، فيبْقَى لنا حبُّ أبينا ، ثم نتوبُ بعدَ ذلك من هذه الفِعْلَة ، ونُصبِحُ ناسًا صالِحين .

وارتَفع صوتٌ يوافق على هذا الرأى :

ـ فَلْنَقْتُلْهُ لِنستَريحَ منه .

وكادوا يُوافِقون على قتلِه ، ولكنَّ واحدًا منهم قال :

﴿ لا تقتلوا يوسُف ، وألْقُوهُ فى غيابَةِ الجُبِّ يَلْتقِطْهُ بعضُ السَّيَّارَةِ إن كنتم فاعِلين ﴾ .

فصاح أحدهم :

ـ هذا هو الرأى .

واتَّفَقُوا على أنْ يُلقُوا يوسف فى الجُبِّ لِيَتخلَّصُوا منه ، ويَخْلُوَ لهم وجهُ أبيهم .

٣

ذهَبَ الأولادُ إلى أبيهم ، فوَجَدوهُ يَحتَضِنْ يوسُفَ ويُلاعِبه ، فقال له أحدهم :

ـ يا أبانا ما لَك لا تَدَعُ يوسُفَ يذهب معنا ليلعب ؟

فقال يعقوب :

ـ لا أطيقُ أن أفارِقَه ساعة .

فقال آخر :

ـ أَرْسِلْهُ معنا غدًا يلعبْ ويتمتّع .

فقال لهم أبوهم :

ـ إنى لَيحْزُنُنِى أن تذهبوا به .

ـ اتركه يلعبْ ويفرح ، فإنه محبوسٌ هنا دائما .

ـ أخاف أن تَشْتَغِلوا فى لَعِبكُم وتتركوه ، فيأتى

الذئب فيأكلَه .

فقال قائل منهم :

ـ كيف يأكله الذئبُ ونحن كثيرون ؟!

والتفوا بأبيهم يقولون :

ـ لا تخشَ عليه شيئا ، دعْ يوسُفَ يخرج معنا يفرحْ ويلعَب ، لماذا لا تأمَنُنا على يوسُفَ ونحنُ نُحِبُّه ، ونحبُّ أن يذهَبَ معنا .

واستمروا يرجون أباهم حتى قبِلَ رجاءهم ، وأرسَلَ يوسُفَ معهم ، فخرجوا من عنده مسرورين .

٤

خرج الأولاد ، وخرج يوسُفُ معهم ، وما غابوا عن عينيْ أبيهم حتى أخذُوا يشتِمونَ يوسُفَ ويُهينونَه، وساروا حتى إذا وصلُوا إلى البِئر ، أخذوا

من يوسُفَ قميصه الـذى على جسـمه ، ودَلّوه فى البئر وذهبوا .

وجَدَ يوسُفُ نفسه فى الجُبِّ فشعرَ بخوف ، ولكـن لم يستمِرَّ هذا الخوف طويـلا ، لأنَّ الله أذهَـبَ عنـه الخوف ، وأخبَرَهُ أنه لا بدَّ لـه مـن مَخْـرَجٍ مـن هـذه الشِّدَّة ، وأنَّهُ سينْجُو ويعيشُ مُكرَّما .

ووقـف الأولادُ يفكّـرونَ فيمـا يقولونَـه لأبيهـم ، فرأوْا أن يقولوا إنَّ الذِّئبَ أكلَه ، وأرادوا أن يُبَرْهِنوا له على صِدْقِهم ، فـأخذُوا قميـصَ يوسُـف ولَطَّخُـوه بدمِ مِعْزَى ذبحوها .

انتظرَ الأولادُ حتى غابَتِ الشمسُ وجاءَ الليل ؛ ثم دَخلُوا على أبيهم وهم يَبْكُون . فلمَّـا رآهـم يعقـوب ولم يَرَ يوسُفَ معهـم شـعر بانقبـاض ، وقـال لهـم فـى لهفة :

- أينَ يوسُف ؟

﴿ قالوا : يا أبانا إنّا ذهَبْنا نَسْتَبقُ وتَرَكْنا يوسفَ عِنْدَ متاعِنا (أى أشيائنا) فأكلَهُ الذِّئب ﴾ .

فقال يعقوب فى غضب :

- تكذِبُون .

- إنَّنا نعلمُ أنَّك لنْ تُصَدِّقَنا ، ولكن هذا قميصُه .

وقدَّمُوا له قميصَه ، فَوَجَدَ به آثارَ دم ، ولكنْ لم يجد به أثر أسنان ، فقد نسوا أن يخرِقوه ، فعلم أنهم فعلوا بأخيهم شيئا ، وأن الذئبَ لم يأكلْه .

وحزِنَ يعقوبُ على يوسُف ، ولكنه صبَرَ على حُزْنِه ، وقال لأولادِه :

- بل فعلْتم بأخِيكم أمرا ، فصبرٌ جميل .

٥

كانت قافلةٌ قادمةً من الشامِ ذاهبةً إلى مصر ، ومرَّت القافلةُ بالبئرِ التى أُلقِىَ فيها يوسُف ، وذهبَ رجُلٌ يحضِرُ ماء ، فلمَّا أدلَى دلْوَهُ تَعَلَّقَ فيها يوسُف ، فلمَّا رآهُ ذلك الرَّجل فَرِحَ وقال : بُشْرَى ! هذا غُلام . وأخَذَهُ وعادَ إلى القافلة .

وسافرَ التجارُ حتى وصلوا إلى مصر ، فذهبَ الرجل بيُوسُفَ إلى سوق الرَّقيقِ ليبيعَه ويقبضَ ثَمنه وذهبَ وزيرُ مصرَ إلى السُّوق ، فلمَّا رأى يوسُف أُعجِبَ به ، فتقدَّمَ واشتراه بدراهِمَ قليلة .

وعادَ الوزيرُ إلى بيته ومعه يوسُف ، فلما دخ على زوجه فَرِحتْ بالغُلام ، لأنها لم يكن لها أول وقالَ لها الوزير :

- أحْسِنى إليهِ فقدْ ينفعُنا إذا كبِر ، وقد نجِدُهُ غُلامًا طيِّبًا ذكيًّا ، فَنَجْعَلُه ابننا .

وبَقِىَ يوسُفُ فى بيتِ الوزير ، يحوطُه بِعَطْفِه وعنايته .

ومرَّت السِّنون ، وكبرَ يوسُف ، حتى شَبَّ فكان رائعَ الحُسْن ، جميلَ الصُّورة .

٦

رأتْ امرأةُ الوزيرِ جمالَ يوسُفَ وقُوَّتَه ، فأحبَّته .

وفى ذاتِ يوم ، لَبِسَتْ أحسَنَ ثيابها ، وتزيَّنت ودخلتْ على يوسُف ، وأغْلَقَتِ البابَ خلفها ، واقتربتْ منه وأرادت أن تُظهِرَ له حُبَّها ، فقالت له :

- أنا لك ، ومِلْكُ يَدِك .

ونَظَرَ يوسُفُ إلى جمالِها ؛ ولكنّه تذكَّرَ ربَّه الذى

خَلَّصَهُ من الجُبِّ ، فدارَى وجهَهُ وقال :

- مَعاذَ الله ، زوجُك هو سيِّدى ، وقد أكرَمَنى وأحْسَنَ إلىَّ ؛ فلا أُسيءُ إليه ، ولا أَعْصِى ربِّى الذى أنقَذَنى .

وذَهَبَ إلى البابِ ليفتحَه ويخرج ، فأسْرَعَتْ إليه تشُدُّه ، فأمسكَت بقميصِه فانشقَّ من الخلف ، وفتحَ يوسُفُ البابَ فرأى الوزيرَ أمامَه ، فلمَّا رأت زوجةُ الوزيرِ زوجَها واقفا ، أرادت أن تتَّهِم يوسُفَ بأنه حاوَل أن يَعتدِىَ عليها ، فقالت لزوجِها :

- لقدْ أرادَ يوسُفُ بامرأتِكَ سوءا ، وإنَّ جزاءَهُ السِّجنُ أو العذابُ الأليم .

فقال يوسُفُ يدافعُ عن نفسِه :

- إنها هى التى عَرَضت نفسها علىَّ .

وغَضِبَ الوزير ، وجاءَ رجلٌ كان قريبَ زوجَتِه ، فلما سمع القصة من الوزير قال له :

ـ إذا كان قميصُه قد شُقَّ من أمام ، فهِىَ صادِقةٌ وهو كاذب ، وإذا كان قميصُه شُقَّ من خلْف ، فهو صادق وهى كاذبة .

ووُجِدَ قميصُه شُقَّ مِن خلف ، فنظَر الوزير إلى زوجِه فى غضب ، وقال لها :

ـ إنَّ هذا كلَّه من مكرِكِ ، والنِّساءُ مكرُهُنَّ عظيم .

ونظر إلى يوسُف وقال له :

ـ لا تذكر ما حصَلَ لأحد .

وطَلب من زوجتِه أن تستَغفِرَ من ذنبِها وأن تتوب .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

تحقيق الرؤيا

عبد الحميد جودة السحار

٩

١

لم يَسمع يوسُفُ كلامَ امرأةِ العزيز ، لأنـه مـا كـان يحبُّ أن يخونَ سيِّدَهُ الـذى رَبَّـاهُ . فدبَّـرَتْ لـه امـرأة العزيزِ مَكيدةً عندَ زوجِها ، وقالت له : إنَّ النساءَ فى كلِّ مكانٍ يتحدَّثنَ عنى وعن يوسفَ حديثًـا رديئـا ، ويُقُلْنَ كلامًا مؤذِيا . فالأَحْسَـنُ أن يدخُـلَ السـجن ، حتى يعْرِفَ النـاسُ أنَّ يوسـفَ هـو الـذى كـان يريـدُ الاعْتِداءَ علىَّ ، ولهذا سُجِن .

عندَ ذلكَ أُدخِلَ يوسفُ السجن ، ودخَـلَ السـجنَ معه فَتَيان ، فتعَرَّفا به ، وصارَ الجميعُ أصحابا .

وفى ليلـةٍ نـام هـذان الفتيـان ، فـرأى كـلٌّ منهمـا حُلْمًا لم يَعرِفْ له تفسيرا .

وفى الصباحِ طلبا من يوسفَ أن يفسِّر لهما الرؤيا .

قال أحدهما :

ـ لقد رأيتُنى فى المنـامِ أعْصِـرُ عِنَبـا ، وأصْنَـعُ منـه خمْرًا ، وأسْقِى الملِك .

وقال الآخر :

ـ رأيتُ على رأسي خُبْزًا تأكُلُ الطيرُ منه ، فأخْبِرنا بتأْويلِ هذا الحُلُم ، إنَّا نراكَ رجلا طيبا صالحا .

فقال لهما يوسف :

ـ مهمـا رأيتُمـا مـن حُلْـم فإنِّى أُعَـبِّره لكمـا قبـلَ وقوعِه ، فيكونُ كما أقول ، وهذا من تعليـم اللّـه لى لأنِّى مؤمنٌ به ، موحِّدٌ له ، مُتّبِـعٌ مِلّـةَ آبـائِى إبراهيـمَ وإسحاقَ ويعقوب ، ما كان لنـا أن نُشْـرِكَ باللّـه مـن شىء .

يـا صـاحِبَى السِّجن .. أيُّهُمـا أفْضَـل : أأربـابٌ كثيرون مُتَفرِّقونَ لا يسـتطيعون أن يفعلـوا شيئا ، أو

إله واحدٌ عظيمٌ قادر ؟ إنَّ الآلهةَ التى تعبُدونَها آلهةٌ كاذبة ، واللّٰه أَمَرَنا أن نعبُدَهُ هو لأنّه خلقَنا ورزَقَنا . ولكنَّ أكثَرَ الناسِ لا يَعلَمون .

﴿ يا صاحِبَى السِّجنِ ، أَمَّا أَحدُكُما فَيَسْقى ربَّه (يعنى سيِّده) خَمْرا ، وأَما الآخرُ فَيُصْلَبُ فتأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رأْسِه » .

وعرف يوسفُ أنَّ ساقِى المَلِكِ هو الذى سينجو من السِّجْن ، فقال له :

ـ اذكُرْ أمرِى وما أنا فيهِ من السِّجنِ دونَ ذنبٍ عندَ المَلِك .



خرجَ ساقى الملِكِ من السِّجن ، وصُلِبَ الرَّجل الآخَر ، كما قال يوسف . ولكنَّ السَّاقى نَسِىَ أن يذكُرَ للملِك أمْرَ يوسُف ، فبقِىَ فى السِّجن عِدَّة سنين .

وفى ذاتِ ليلــةٍ نـام الملـكُ ، فـرأى فـى نومِـهِ أنـه جالِسٌ على شـاطئِ النهـر ، وقـدْ خَرَجَـتْ منـه سبْعُ بَقـراتٍ سَـمِينة ، ثـمَّ خَرَجَـتْ بعدهـا سـبْعُ بقـراتٍ هزيلةٌ ، وذهَبَتِ البقراتُ الهزيلةُ إلى البقراتِ السـمينةِ فأَكلَتْها . فقام الملكُ من نومـه مفزوعـا . ولما ذهَـبَ خَوفُه عاد إلى نومه فـرأى فـى الحُلْـمِ سَـبْعَ سُـنبُلاتٍ خُضْر ، تأْكُلُها سَبْعُ سنبلات يابسات ، فقام من نومه وهو خائف .

وفى الصباحِ جمعَ الملِكُ رجالَه وقصَّ عليهم ما رآه فى حُلْمِـه . فلـم يَعْرِفْ أحَدُهـم كيـف يفسِّـرُ هـذا الحلم ، عندئذ تذكَّرَ الساقى أنَّ يوسُف يُجيـد تفسـيرَ الأحلام . فقال للملك :

- أرْسِلنى إلى يوسُفَ فى السِّجن ، وأنا أُفسِّرُ لكـم هذا الحُلْم .

فأَرسلَه الملك إلى يوسُف . فقال له :

« يوسُف أيُّها الصِّدِّيق ، أَفْتِنا (أى أخبِرنا) فى سبعِ بقراتٍ سِمان ، يأْكلُهُنَّ سبْعٌ عِجاف ، وسبع سُنْبُلاتٍ خُضْر وأُخَرُ يابِسات ، لَعلِّى أَرجِعُ إلى النّاسِ لعلّهم يعلَمون » .

فقال له يوسُف :

ـ ستأْتِى سَبْعُ سنواتٍ يكثُر فيها الزَّرعُ والثِّمار ، ثم يأْتِى بعدها سبعُ سنينَ يقلُّ فيها الزَّرعُ والثِّمار ، فَعلَيكم أن تزرعوا باجتهادٍ سبعَ سنوات ، فإذا حَصَدْتُمُ القمحَ فاترُكوه فى سُنْبُلِه ، إلاَّ القمحَ الذى تحتاجونَ إليه لتأْكلوه ، فإذا جاءَت السِّنون التى لا زرعَ فيها ، أَكلتُم مما ادَّخَرتُم فى سنواتِ الرَّخاء . ثم تأتى بعد ذلك سنةُ رخاءٍ يَعْصِرُ فيها الناسُ العِنَبَ والقَصَبَ والسِّمسم ويشبعون ويتمتعون .

وعاد الرجل إلى الملك وذكر له ما قاله يوسف ، فأُعجِبَ الملكُ به وأرسَلَ ساقِيه إلى يوسُف ، وأمَرَهُ بأنْ يُحْضِرَهُ ليكونَ من أصحابِ الملك . فلم يقبَل يوسُف أن يذهبَ إلى الملكِ قبلَ أن يُثْبِتَ له أنّه حُبِسَ ظُلْما . فقال للرجل :

ـ ارجِع إلى الملكِ واسألْه أن يحضرَ النساءَ اللاتى قَطَّعْنَ أيديهنَّ ، ويسألَهُنَّ عن حقيقةِ ما حدثَ منّى . لِيعلَمَ أَنّنى برىءٌ مما نُسِبَ إلىّ .

فأَرسَلَ الملكُ إلى النسوةِ وسأَلَهُنَّ عن يوسُف ، فقلن :

ـ إنّه رجُلٌ كريمٌ ، ولم يحدُثْ منه شىء قبيح .

ورأتِ امرأةُ العزيزِ أنَّ الحقَّ قد ظهَرَ ، فقالت :

ـ أنا طلَبتُه لنفسِى ، ولكنّه امتنعَ . إنه برىءٌ ؛ وإنه حُبِسَ ظُلما .

فلما علِمَ الملكُ ذلك ، عرَف أنَّ يوسُف رجلٌ ذكىٌّ

وأَمين ، ورأى أن يستفيد من علمه وأمانتِه ، فقال : ائتونى به .

وجاءَ يوسف وكلَّمَ الملِك ، فظهرَ له أنَّ يوسُفَ ذكىٌّ مُخلِصٌ أمين ، فقال له :

ـ إنَّكَ اليوم مُعَزَّزٌ مُكرَّم .

فقال له يوسُف :

ـ إنَّ البِلادَ مُقبلةٌ على رخاءٍ ثم جَدْب ، فاجعلْنى على خزائِن الدولة ، لأنِّى أمينٌ على ما تحت يدى ، أَصرِفُه فى الصَّواب ، وأحفظ الباقىِ لأيامِ الشِّدَّة .

٣

أَصبَحَ يوسف وزيرا للملِك ، وأصبَحَ كلُّ شىءٍ فى يده .

ومرَّتْ سنواتُ الرَّخاء وجاءَت سنون الشِّدَّة ، فأَخذَ يوسُف يوزِّعُ على الناسِ من القمحِ الذى خزَنَه من أيام

الرَّخاء ، وأحَسَّت البلادُ بالشِّدَّة ، فكان الناسُ يأْتونَ من البلادِ المجاورة لمصرَ ليأْخذوا حاجتهم .

وفى ذاتِ يوم ، دخل إخوةُ يوسُف عليه ، فعَرَفهم ولم يعرفوه . فما كانوا يحسِبُون أنَّ يوسُف يُصبِحُ وزيرا ، وسألهم :

- كم عددكم ؟

فقالوا له : نحن اثنا عشرَ رجلا . ذَهَبَ منا واحد ، وصغيرُنا عند أبينا .

فأَكرمَهم وأطعمَهم ، ثم قال لهم : اذهبوا فأتونى بأَخيكم معكم لأُعطيكم ما طلبتم . فإذا لم تأْتونى به ، فلنْ أعطيكم شيئا .

فقالوا :

- سنجتهد فى مجيئه معنا .

وذهبوا يستعدُّون للعودة ، فأَمَرَ يوسفُ خدمه أن

يضعوا لإخوتِه بضاعتهم التى جاءُوا بها ليبادلوا عليها بالقمح ، فى أَوعيتهم .

وعادوا إلى أبيهم ، فلمَّا قابلوه قالوا له :

ـ إنْ لَمْ تُرْسِلْ معنا أخانا ، فلنْ يُعطُونا شيئا .

فقال لهم :

ـ إننى لا آمَنُ عليه أحدًا ، وأخشى أن تفعلوا به ما فعلتم بيوسُف .

فقالوا : يا أبانا ، إن ما نقوله صحيح ، وهذه بضاعتنا التى أخذناها لنبادل عليها قد ردَّها الوزير ولم يَقْبَلْها .

فقال :

ـ لنْ أُرسِلَه معكم حتى تحلِفوا لى أن تحافظوا عليه .

فحلفوا أن يُحافِظُوا على أخيهم ، واستعدَّ

للذهاب إلى مصر ليُحضِروا منها القمح . فقال لهم أبوهم :

ـ لا تدخلوا المدينةَ من بابٍ واحد ، ولكن ادخلوا من أبوابٍ متفرِّقة .

قال لهم هذا ، لأنّه كان يخشَى أن يُصِيبهم شَرٌّ ، فلا يُصيبهم كلّهم فى وقتٍ واحد .

وسافروا حتى إذا دخلوا على يوسُف ، أخذَ يوسُف بنيامينَ بعيدًا ، وقال له :

ـ أنا أخوكَ يوسُف ، فلا تذكُرْ ذلك لإخوتِك ..

فسُرَّ بنيامين بلقاء أخيه ، وأرادَ يوسف أن يأْخذَ بنيامين منهم ، فقال لخَدَمه :

ـ ضعوا سقاية الملك التى يشرب بها فى متاع بنيامين .

فوضعوها .

وحزم إخوةُ يوسُف أمتِعتهم ، وحمَّلوها على الجمال وخرجُوا .

وعند ذلك نادى عليهم أحد الحُرَّاس قائلا : إنكم لسارِقون .

فعادوا نحو المنادى وسأَلوا : ماذا ضاعَ منكم ؟

قال : سرقتم سقاية الملك التى يشربُ بها .

قالوا : فَتّشونا ، فما جئنا لِنَسرِق .

قال : فما جزاءُ مَن وُجدَتْ معَه ؟

قالوا : جزاؤُه أن تأْخذُوه أسيرا .

وجاءَ يوسُف ، وفَتَّشَ أمْتِعتَهم قبلَ متاع أخيه ، ثم فتّش متاع أخيهِ واستخرج منه سقاية الملك ، وأخذَ أخاه جزاءً على وجودِ السِّقايةِ فى متاعه .

وقال إخوته :

« إنْ يسرِق فقد سرَقَ أخٌ له مِن قبْل » .

فعرَفَ يوسُف أنهم يقصِدونه ، ولكنه لم يستطِع أن يردَّ عليهم ، حتى لا تنكشِفَ حيلتُه ، وقال في نفسه :

« أنتم شَرٌّ مكانا ، واللَّه أعلمُ بما تَصِفون » .

وتذكروا أنهم حَلَفوا لأبيهم أن يُحافِظوا على أخيهم ، فقالوا ليوسف :

« يا أَيُّها العزيز ، إنَّ له أَبًا شَيخًا كبيرا ، فخذ أَحدَنا مكانه ، إنَّا نَراكَ من المُحْسِنين » .

قال : « مَعاذَ اللَّهِ أَن نأْخذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا متاعَنا عِنْدَهُ ، إنّا إذنْ لَظالِمُون » .

ولما يئسوا من أن يأخذوه ، اجتمعوا يتشاوَرُون ، فقال كبيرهم :

ـ لقد حلفْنا أَن نحافظ عليه ، ولا أَستطيعُ أَن أُقابِلَ أَبانا وبنيامينُ ليس معِي .

ـ وماذا ستفعل ؟

ـ سأَبقَى هنا حتى أَردَّ أَخى ، أَو يأْذنَ لى أَبى بالعودة .

ـ وماذا نفعل نحن ؟

ـ« ارْجِعُوا إِلى أَبيكم ، فقولوا : يا أَبانا إِنَّ ابنك سرَق » .

فعادوا إلى أبيهم ، فلما سأَلهم عن بنيامين ، ذكروا له ما حصل ، فلم يُصَدِّقهم ، ، وقال لهم :

ـ إنَّ ابنى لا يسرق .

قالوا : اسألِ الناس الذين كانوا معنا ، فقد اشتهر هذا الأمر بينهم .

قال : لقد فعلتم به ما فعلتم بيوسُف ، وإِنِّى أَرجُو أَنْ يأَتيَنى اللّه بهم جميعا .

٤

حـزن يعقـوب على بنيـامين ، وتجـدَّد حزنـه علـى يوسـف ، وأخـذَ يبكـى حتـى فقَـدَ بصـرَه ، ولاحـظ أبناؤه كثرة بكائه .. فقالوا له :

ـ ستظل تذكر يوسُف وتبكى عليـه حتى تضعفَ أَو تموت ، فالأَحسْن أَنْ تَتُرِكَ البكاءَ .

فقال لهم : لستُ أَشكو إِليكـم ، ولا إلى أَحـد مـن الناس ، إِنما أَشكو إِلى اللَّه ، وأَعلم أَنَّ اللَّـه سيرحمنى ويخلِّصنى مما أَنـا فيـه . يـا بَنـىَّ ، اذهبـوا فـابحثوا عـن يوسف وأَخيه ، ولا تيئَسوا من الفَـرَجِ بعـدَ الشِّـدَّة ، لأَنَّهُ لا ييئس من فرج اللَّه إِلاَّ الكافرون .

٥

عاد إِخوة يوسف إلى مصر يطلبون من العزيز أَن يتصدَّق عليهم ، ويعفوَ عن أَخيهم . فلما دخلوا عليه ، قالوا له :

ـ يأَيُّها العزيز ، أَصبحنا فى حال شديدة ، وليس معنا إِلا بضاعة رديئة ، فأَعطنا مما عندك ، وتصدَّق علينا بردِّ أَخينا .

فقال لهم يوسف :

« هلْ عَلِمْتُم ما فَعَلْتم بيوسف وأَخيه ؟ » .

فنظروا إليه طويلا ثم قالوا :

« أَئِنَّكَ لأَنْتَ يوسُف ؟ » .

« قال : أَنا يوسف ، وهذا أَخى .. قَد مَنَّ اللّه علينا » .

فقالوا له :

- واللّه لقد فضَّلَك اللّه علينا . فسامِحنا فيما فعلناه معَكَ يا أَخانا .

قال :

- لا تخافوا ، فلنْ أُعاقبكُم على ما كان منكم ، واليوم يغفرُ اللّه لكم وهو أَرحَمُ الرَّاحِمين .

وسأَلهم عن أَبيه ، فقالوا له :

- لقد فَقَدَ بصره من كثرة البكاء عليك .

فخلَعَ قميصَه وأَعطاه لأَخيه الذى كان قد قال لهم : لا تقتلوا يوسُف وأَلقوه فى الجُبِّ ، وقال له : اذهبْ بقميصى هذا ، فأَلقِهْ على وجْهِ أَبى يَأْتِ بَصيرا ، وأْتونى بأَهلِكم أجمعين ، ليعيشوا هنا فى مصر فى هذا الرَّخاء العظيم .

٦

وقف يعقوب ينتظر عودة أَبنائه ، فلما قربوا ، استنشق الهواء بقوة ، وقال لمن حوله :

ـ إِنِّى أَشَمُّ ريح يوسُف .

فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا :

ـ ستعود إِلى الوهم القديم . لقد مات يوسف وأَكله الذئب من سنين .

ووصل أَبناءُ يعقوب ، فوضعوا قميص يوسف على وجهه ، فرجع إِليه بصره ، وقال لأَولاده :

ـ ألم أَقل لكم ، إِنِّى أعلمُ أَنَّ اللّه سيَجمَعُ شَملِى بيوسف .

قالوا : يا أبانا ، استغفر لنا ربنا .

قال : سوفَ أَستغفرُ لكم ربِّى ، إِنّه هو الغفور الرحيم .

وحمل يعقوبُ أَهْلَهُ وذهب إِلى مصر . وقبلَ أَن

يبلُغَها ، قابلـه يوسـفُ فـى الطريـق ، وأَكـرَمَ أَبويـه ، وسار معهما حتّى إذا وصل إلى مصرَ قال لهم :

« ادخلوا مصر إن شاء اللّه آمنين » .

ودخل يوسفُ وجلَسَ على كرسيِّه ، فانحنى له أبوه وأُمُّهُ وإخوتُه تعظيما له ، فقال يوسف لأَبيه :

« يا أَبَتِ ، هذا تأْوِيلُ رؤيایَ مـن قبـلُ قـد جَعَلَهـا رَبِّى حقًّا » ، وجعلنى حاكمـا بعد أَن أَخرجنـى مـن السِّجن ، وجاءَ بكـم مـن الصحـراء ، بعـد أن فـرَّق الشيطانُ بينى وبـينَ إِخوَتـى ، إنَّ ربِّـى إِذا أرادَ شيئا أَوجَدَ أَسبابَه وحقَّقه .

٨

اجتَمعَ نساءُ الأمَراء وبناتُ الكُبَراء ، وتحدَّثْنَ عن امرأةِ الوزير ، وكُنَّ يَلُمْنَها على حُبِّها ليوسُف ، قلن :

ـ امرأةُ العزيزِ تَعرِض نفسها على يوسُف . إنَّها امرأةٌ سَيِّئة .

وسمِعَت امرأةُ العزيزِ بتَشْنيعِ النِّسوةَ ، لأنَّها أحبَّتْ فتاها ، فَغَضِبَت ، وأرادَتْ أنْ تُظْهِرَ لهنَّ عُذرَها ، فأرسَلَتْ إليهِنَّ فَجَمَعَتْهُنَّ فى منزِلِها ، وأحضَرَتْ لهنَّ تُفَّاحًا ، وآتَتْ كلَّ واحِدةٍ منهنَّ سكِّينا ، ثم ألبست يوسُف أحسَنَ الثياب ، وأمَرَتْهُ أن يخرج عليهِنَّ ، فخرَجَ يوسُفُ عليهن بجماله ، فلما رأينَه لم يُصَدِّقنَ عيونَهنَّ ، فما كان فى بنى آدم أحسَنَ منه ، وأخذنَ

ينظُرْنَ إليه فى دهش ، ونسينَ أنْفسَهُنَّ ، وجَعَلْنَ يحزُزنَ فى أيديهِنَّ بالسَّكاكين بدلَ أن يقطِّعنَ التُّفاح ، ولا يَشْعُرْنَ بالجراح ، وقُلْنَ :

﴿ حاشَ لله ، ما هذا بَشَرا ، إنْ هذا إلا مَلَكٌ كريم ﴾ .

فقالت امرأة العزيز لهن :

ـ هذا الذى لُمْتُنَّنى فيه ، وقد طلَبْتُه لنفسى فامْتَنَع ، ولئِن لم يفعَلْ ما آمُرُهُ به ليُسْجَنَنَّ .

فقالت له النسوة :

ـ لماذا لا تسمعُ لسيِّدتِك ؟

قال :

﴿ ربِّ السِّجْنُ أحبُّ إلىَّ مما يَدْعوننى إليه ﴾ .

وامتنع يوسُفُ عن أن يُطيع كلامَ سيدته ، لأنه كان يخاف الله .

القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

مدين وشعيب

عبد الحميد جودة السحار

١٠

١

بالقُرْبِ من الحدودِ المصرية فى جنوبىّ فِلَسْطِين ، كانتْ قبيلةُ مدينَ تَعِيش ، وبجوارِها أراضٍ واسعة ، غرسوا فيها بساتينَ وحدائقَ ذات بهجَة ، تسمى الأَيْكَة .

وكان هؤلاء القومُ جميعًا يغُشُّون فى البَيْعِ والشراء ، فإذا باعُوا شَيْئا نَقَصُوا المِكْيالَ والميزان ، وأَعْطَوا الناس أقلَّ من حقهم ، أَما إذا اشترَوْا فإنهم يَزيدُون الكيلَ والوَزْن ؛ وأَخذوا أَكثرَ من حقهم .

وكانوا يَخْرُجُون للإغارة على المسافرين فى الطرق ، يسلُبُونَهم وينهَبُون ما مَعهم ، ويُؤْذُونَهم ولا يخافون اللّه فى أعمالهم . لأَنهم كانوا يعبُدون آلهةً كاذبة ، ويظنُّون أنها خَلَقَتْهم .

فَأَرسَلَ اللّه إليهم شُعَيبا ، ليَأْمُرَهم بعبادةِ اللّه ، وعملِ الخيرِ مع الناس ، والصِّدقِ فى البَيعِ والشِّراء ، وتَوفِيةِ الكَيلِ والمِيزان .

٢

ذهَبَ شُعَيبٌ إلى أهلِ مَدين فقال لهم :

﴿ يا قَومِ اعْبُدوا اللّه ما لَكم مِن إلهٍ غيرُه ، ولا تنقُصُوا المِكيالَ والميزان ، إنى أَراكُم بِخَيْرٍ وإنِّى أخافُ علَيكم عذابَ يوم مُحيط . ويا قوم أَوفُوا المِكيالَ والميزانَ بالقِسط ، ولا تبخَسُوا الناسَ أشياءَهم ، ولا تَعْثَوا فى الأَرضِ مُفسِدين » .

« قالوا : يا شُعَيْبُ أَصلاتُك تأْمُرُكَ أنْ نَترُكَ ما يعبدُ آباؤنا ، أو أن نفعلَ فى أموالِنا ما نشاء » ؟

قال : يا قَوم ! إننى أُريدُ إصلاحَكُم بقدرِ ما

أَستَطيع ، وليس غَرَضى أن أُخالِفَكُم وأُنازِعَكم ، بلِ القَصْدُ أنْ أُصلِحَ أُمورَكم ، لأَنَّ اللّه لا يقبَلُ أن تبيعوا الناسَ أَقَلَّ من حقوقِهم ، وتأْخذوا منهم أكثَرَ من حقوقكم ، ولا يرضَى بأَن تَنْهَبُوا الناسَ وتُسْلُبوهم .

قالوا : يا شعيب ! إنّا لا نفهَمُ ما تقُول ، وأَنتَ رجلٌ ضَعيف ، ولولا أَقارِبُكَ لقَتلناك ، وما أَنتَ علينا بِعَزيز .

قال : يا قَوم ، هل أَقارِبى أَعزُّ عليكُم من اللّه ، الذى أَرسَلَنى إلَيكم ، وهو القَوىُّ القادِرُ الذى يَعْلَمُ كلَّ أَعْمالِكم ، ويَقْدِرُ على إهلاكِكُم جميعا ؟

قالوا : يا شُعَيب ! اذْهَبْ فَقُلْ لربِّكَ يأْتينا بالهلاكِ الذى تقولُ عنه . ولا تُتْعِب رءوسَنا بالكلامِ الثّقِيلِ الذى لا نَفْهَمه .

٣

وذَهَبَ شُعَيْبٌ إلى أصحابِ الأيْكَةِ فقالَ لهم :

« إنِّى لَكُم رسُولٌ أَمِين ؛ فاتَّقُوا اللَّه وأَطِيعُون ، وما أَسأَلُكم عليه من أَجْرٍ ، إنْ أَجْرِىَ إلاَّ على رَبِّ العالَمين . أَوفُوا الكَيلَ ولا تكونوا من المُخْسِرين ، وزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقيم ، ولا تَبْخَسُوا الناسَ أَشْياءَهم ، ولا تَعْثَوا فى الأَرضِ مفسِدين ، واتَّقُوا الذى خَلَقَكُم والجِبِلَّةَ الأوَّلِين » (يعنى الأجيال الأولى قبلهم) .

« وقالوا : إنَّما أَنتَ من المُسَحَّرين (يعنى المجانين الذين أصابهم السحر ، فأصبحوا مذهولين) وما أنتَ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا وإن نَظُنُّكَ لِمن الكاذبين » .

وقالَ الذين استكبروا منهم : إن كنتَ نَبِيًّا فأَسْقِطْ عَلينا قِطَعا من السماءِ ، فنعرِفَ أنّك رسولٌ من عند اللّه الذى تقول عنه ، ونَعرِفَ أنّك من الصَّادِقِين .

وأمَّا الناسُ الطيِّبون فآمَنوا معه ، وانْضَمُّوا إليه ، وعَبَدُوا اللّه معه .

٤

عاد شُعيبٌ إلى قريتِه (مَدْيَن) ومَعَهُ الجماعة المؤمنون ، وكُلُّهم من الفقراء الطيبين ، الذين لا ينهَبونَ الناس ، ولا يأْكُلونَ حقوقهم ، ولا يقطَعونَ الطُّرُق ، ولا يَسلُبون أموال المسافرين .

ولم يسكُتْ عن دعوةِ أهلِ مدينَ وأَصحابِ الأَيْكَةِ إلى اللّه ، وتخويفِهِم من العذابِ والهلاكِ إذا لم يرجِعوا عن الفسادِ فى الأرض .

وكان بعض الناسِ الطيبين ينضَمُّونَ إليه ، فاغْتاظَ الكفّارُ المتكبِّرون ، ووقفوا فى الطُّرِق يمنعُون هَؤلاءِ الناسَ الطيبين من المرور ، والذَّهاب إلى شُعَيب ، وكلَّ مَن عَرفوا أنّه ذاهبٌ إليه آذوهُ وضَرَبوه ، وأَخذوا أمواله .

فَذَهَبَ إليهم شُعَيبٌ يقول :

- يا قوم لا تُفسِدوا فى الأرضِ بعدَ إصلاحِها ، ذَلِكم خيرٌ لكم ، ولا تقْعُدوا بكلِّ طريق ، تخوِّفُونَ الناس ، وتَمنَعُونَهم عن الإيمان باللّه ، وخافوا أنْ يُعَذِّبَكم اللَّه كما عَذَّبَ قَومَ نوح ، وقوم هود ، وقومَ صالحٍ فى الزَّمنِ القديم . أو كما عَذّب قومَ لوط ، وهم قريبون منكم فى زمانِكم ، وقَرِيبونَ من الأرضِ التى تعيشونَ فيها .

« قال الملأُ الذين استكبرُوا من قومه : لنُخرِجَنَّك يا شُعَيْبُ والذينَ آمنُوا معكم من قريَتِنا أَو لتعودُنَّ فى مِلَّتِنا » .

قال : إننا لَن نعودَ فى ملَّتِكم أَبدا بعد أَن نجَّانا اللَّه منها ، وقد توكلنا على اللَّه ، واللَّه يحكم بيننا وبينَكُم بالحق ، واللَّه خيرُ الحاكمين .

٥

واستمرَّ القومُ يُؤْذون أَتباعَ شُعَيْب المؤمنين ، ويقولونَ لهم :

- ارجِعُوا خيرٌ لكم فإِنكم ستَخْسَرُون باتِّباعِكم هذا الرجلَ الضعيف الفقير . تعالوا معنا : فنحنُ الأغنياءُ الأقوياء .

فيُجيبُهم المؤمنون :

- كلا ! لن نعودَ إِلى الكُفْرِ بعدَ أَن هدَانا اللّه .

فيزيدُون فى إِيذائهم يومًا بعد يوم .

وكذلك استمرُّوا ينهَبُون المسافرين ، ويسرِقُون فى الميزان والمِكْيالِ عند البيْعِ والشراء ، ولا يخافون اللّه . ولا يسْمَعُون كلامَ شُعَيْب . حتى تَضايَق منهم شُعَيْب . وعلِمَ أنهم لن يُؤْمِنُوا أبدا .

فَدَعا اللّه أن يحكُم بينَه وبين هؤلاء القوم ، ويُعطىَ المؤْمِنينَ والكفارَ جزاءهم الذى يستحقونه .

٦

عند ذلك اشتَدَّتْ حرارةُ الجو ، وظلتْ ترتفعُ وترتفع ، حتى أحسَّ الناسُ أنَّ الحرارةَ تَشْوِى وُجُوهَهُم وجلودَهم ، وتخْنُقُ أنفاسَهم ، فلا يستطيعُونَ التنَفُّس ، ويبحثُون عن النَّسمَة فلا

يجدُونها ، لأن الجوَّ خانق ، والعرقُ يسيلُ من أجسادِهم ، والماء لا يُرْوِيهم أبدا .

وظلوا على هذه الحالَةِ سبعةَ أيامٍ بلياليها ، يتعذبون من الجو الحار المكتُوم ، ويصرُخُون ويستَغِيثُون ، ويُصَلُّونَ لآلِهَتِهم ، ويَدْعونها أن تُفَرِّجَ عنهم هذا الكربَ وهذا الاختناق .

وفى اليومِ الثامِنِ شاهَدوا دُخْنَةً فوقَ رءُوسِهِم تحجبُ عنهمُ الشمس . ففَرِحُوا وقالوا : لقد استجابت الآلهة لدُعائِنا ، وأرسلت إلَينا هذه الظُّلَّة تحجبُ عنا الشمسَ المحرقة ، وسَتَخِفُّ الحرارةُ بعد ذلك ، وننجُو من هذا العذَابِ الأليم .

وبينما هم كذلك ، أَحسَّ أَهلُ مدين بزِلْزالٍ شَديد ، ترْتجُّ منه الأرضُ تحتَهم ، وتتحطمُ بسببِه

المبانى عليهم ، فيموتون فى بيوتِهم ، ولا يستطيعُون الهربَ منها .

وأَمَّا أَصحابُ الأيكة فرأَوا الصواعِقَ الملتهبةَ تنزِلُ عليهم من هذه الدُّخْنَة التى حَسَبُوها ظُلَّة ، فتُحرقُهم وتصرَعُهم ، وتُهْلِكُهم جميعا .

٧

أما شُعَيبٌ والذين آمنوا معه ، فقد نَجَوا من الزِّلْزالِ فى الأَرض ، ومن الصَّواعِقِ فى السماء .

فرفعَ رأسَه إِلَى السماء وهو يقول :

ـ لقد بلَّغْتُ هؤلاء القومَ رسالةَ اللّه ، فلم يُصدِّقوا ولم يُؤْمِنُوا ، واستمرُّوا فى أعمالِهم الرديئة القبيحة ، حتى عاقبَهُم اللّه عليها هذا العقابَ الأليم . وهم

يستحقُّونَ ما جرَى لهم ، ولن أحزنَ عليهم ، فهُم قومٌ كافرون .

وهكذَا كانَ مصيرُهم كمصير قومِ نوح ، وقومِ هود ، وقومِ صالح ، وقوم لوط ، كلهم كذَّبُوا الرسل ، فَحَقَّ عليهم العذابُ والهلاك .

٨

عاش شُعَيْبُ بعدَ ذلك طويلا ، ورزَقه اللّه رِزْقًا عظيما ، فصار عندَه آلافٌ من الغَنَم يَرْعاهَا بنفسِه ويَعْطِف عَلَيْها .

ولَمْ يكُنْ لِشُعَيْبَ أولادٌ ذكور ، بل كانتْ لَه بِنْتان .

ولما كَبِرَ وهَرِمَ لم يَكُنْ يقدِرُ على رَعْيِ الغَنَم ،

فكانتِ البنْتان تَخرُجان لِرَعْيها وسَقْيها . وكانتا بِنْتَيْنِ مُؤَدَّبتَيْنِ ، ولا تَسْقِيانِ الغَنم إلاَّ بَعْدَ أن يَسْقِيَ الرجالُ أغنامَهَم ويَنْصَرِفُوا ، حَتّى لا تختَلِطا بالرجال .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

موسى والعصا

عبد الحميد جودة السحار

١١

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

موسى والعصا

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

كان بنو إسرائيل ـــ وهم أقارِبُ يوسفَ الذين جاءُوا إلى مصرَ لمّا كان فيها وزيرا ـــ قد تكاثَرُوا ، حتى أصبَحوا يُعَدُّونَ بمئاتِ الأُلوف ؛ وصاروا من الأغنياءِ الذين يملكون الأراضى الواسِعة ، مما جَعَلَ مَلِك مصرَ فى ذلك الوقت ، يغتاظُ منهم ، ويأمُرُ بأخذِ الأراضى منهم ، وتشغيلِهم فى الزراعة جَزاءَ أكلهم وشربِهم .

ولم يكتَفِ فرعونُ مِصرَ بذلك ، ولكنه عندما رآهم يتكاثرون ، ويزداد عددهم بسرعة ، أمر أن يُقتَلَ كلُّ مولودٍ ذكرٍ يُولَدُ لهم ، ولا يَبْقَى إلا البنات ، كي ينقصَ عددُهم ولا يزيد .

وكانت زوجةُ فرعَونَ سيدةً طيبةً مؤمنة ، رقيقةَ

القلب ، لا تُحِبُّ قتلَ الأطفال . ولكنَّ زوجَها الملكَ كان مُغْتاظًا من بنى إسرائيل ، ويريدُ أن يتخلَّصَ منهم بهذه الطريقة .

٢

فى هذا الوقت وُلِدَ موسى : فخافت أُمُّهُ عليه ، وأرادت أن تُخَبِّئه حتى لا يأْخُذَهُ رجالُ فِرعَونَ فيقتلوه .

ولكن أين تُخْفِيه ؟ لقد كان هؤلاءِ الرِّجالُ يفتِّشُونَ عن الأطفالِ المولودين حديثا ، ولا يتركون ولدًا ذكرًا واحدًا من بنى إسرائيل .

وبينما هى فى حَيْرَةٍ أَلهَمَها اللّه أن تَصْنَعَ له صُندوقًا من الخَشبِ ، وتُلقِيَهُ فى نهرِ النيل ، لعلَّ اللّه ينجيه من الموت ، فيعيش .

فصنَعَتْ ذلكَ الصُّندوق ، ومَهَّدَتْ لموسى فِراشَه ، ووضَعته فيه ، وأقْفَلَت الصُّندوق ، وقالت لبنتها الكبيرة ـ أخت موسى : ضَعِيهِ فى الماء ، وراقبيه ، واعرِفى أين يذهبُ به التيَّار . ففعَلت الفتاة ما أوْصَتْها أمُّها به .

وكان لفرعونَ قصرٌ على شاطئِ النيل . فلما وَضَعتِ الفتاةُ الصُّندوقَ فى الماء ، وقفت تُراقبُه من بعيد ، فرأته يسيرُ مع التيار ، حتى يصلَ إلى ذلك القصر ، وكانت الفتاة تعملُ خادمةً فى القصر ، فذَهَبت إلى أمِّها وأخبَرَتها ، فقالت لها : أنت تشتغِلين فى القصر ، فاذهبِى واعرِفى أخبارَه ، وما يحصُلُ له ، وتعالى خبِّرينى .

٣

عندما رسا الصُّندُوقُ على قصرِ الملك ، رآهُ أحَدُ الخدمِ فالتَقَطَه ، ولما فتحهُ ووجَدَ فيه طفلا صغيرا ، جرى به إلى سيدته الملكة ـ ولم تكن تَلِد ولم يكن لها أطفال ـ فلما رأتْهُ فَرِحتْ به ، وقالت لفِرعَون : نحنُ لا أولادَ لنا ، فلْنَجْعَلْ هذا الطِّفلَ ابننا ، لنَفْرَحَ به في حياتِنا . فوافَقَ على رأيها ، وفرِحَ به هو الآخر .

وأَمَرَت المَلِكة أن يأْتوا له بمُرضِعٍ تُرْضِعُه ؛ ولكنَّ الطِّفلَ كان يرفُضُ أن يَرْضَعَ من أيَّةِ امرأة ، مما جعلَ الملكة تخافُ عليه من الموتِ جوعا ، وهو لا يتغذَّى .

عندئذٍ قالت أختُه ـ وهم لا يعرِفونَ أنها أخته : هل أدُلُّكُم على من يُرْضِعُه ؟ قالوا لها : أسرعي وأخبرينا فإنَّ الوَلَدَ كاد يموت . فَأَسرَعَت إلى أمِّها ، وجاءت بها ، فلما رأتْه خَفَقَ قلبُها ، واصفرَّ لونُها ،

ولكنها أَمسَكَت نفسَها ، حتى لا يعرفَ أحدٌ شيئا ؛ وبمجرَّد أن قَدَّمتْ له ثديَها شرِبَ منه ، ففرِح أهلُ القصرِ جميعا ، وفرحت أمُّه في سِرِّها فرحا عظيما .

٤

كبِرَ موسى حتى صارَ شابّا ؛ وقد نشَأَ قويَّ الجسم، كبيرَ العقْل ، وتعلَّمَ وعَرَفَ أشياءَ كثيرة ، وكان الناس يعامِلُونَه كأنّه ابن الملِك ، أما هو فكان يعرِف في نفسه أنه من بني إسرائيل ، وكان يتألَّمُ لحالةِ قومِه ، ويغتاظُ في نفسِه .

وفي يومٍ من الأيام خرجَ من القصر ، ودخلَ المدينة ، فوَجَدَ فيها رجلين يتشاجران ، أحدُهما من بني إسرائيل والآخَرُ من المصريين ، فاستغاثَ به قريبُه الإسرائيليّ ؛ فَتَقَدَّمَ موسى ولكزَ الرجُلَ المصريّ في بطنِه بشدَّة ، فوقَعَ ميتا .

عند ذلك نـدمَ موسى نَدَمـا شديدا على عملـه ، وطَلَـبَ مـن اللّـه أن يغفِـرَ لـه . وقـال : يـا ربّ لقـد أَنعَمتَ عليّ ، فلن أساعِدَ المجرمين أبدا .

ولكنه ظلّ خائِفًا أن يعرِفَ الناسُ أنّه هو الذى قتلَ ذلـكَ الرجـل ، فيُخبِروا فرعونَ عـن جريمتِـه ، ولم يرجعْ إلى القصر ، بل اختفَى فى المدينة . وبينمـا هـو كذلك رأى الإسـرائيليّ بعينـه يتشـاجَر مـع مِصرىٍّ آخر ، وقد غلَبَه المصـرىّ ، فاستغاثَ بموسى ، فلـم يَمْلـك موسى نفسَـه ، وأراد أن يضـربَ المصـرىّ . فقال له : « أتريـدُ يـا موسـى أن تقتلنـى كمـا قتلـتَ نفسًا بالأمس » ؟

عندئذٍ عرف أن الناسَ قد عَرَفوا جريمَتَـه ، فاشتَدَّ خوفُه ، وفى هذه الحالَةِ جاءَ إليه رجلٌ فقـال لـه : يـا موسى ، إن المصريـينَ قـد عَرَفُـوا مـا صنعت ، وهـم

يتّفِقونَ الآن على طريقةٍ لقَتلِكَ ، فاهْرُبْ سريعًا من هذه المدينة ، واسمع نصيحَتى ، ولا تبقَ هنا بعدَ اليومِ أبدا .

٥

خَرَجَ موسى هاربًا إلى الصحراءِ الشرقية ، وجعل ينتقل من بلدٍ إلى بلد ، حتى وصلَ إلى أرضِ مَدْيَن ، وكان قد تَعِبَ وجاع ، فجلس يستريح .

جلس قربَ بئرٍ يشْرَبُ الناسُ منها ، ويسْقُون أغنامهم ؛ وبينما هو جالسٌ إذْ رأى فتاتين ترعَيانِ الغنم ، وقد وقفتا مع أغنامهما من بعيد تُبعِدانِ الغنم عن الماء ، والرجال يتزاحمون بأَغنامِهم عليه ، فقال لهما موسى : لماذا لا تسقِيان غنمكما ؟ قالتا له : نحن فتاتانِ ، ولا نُحبُّ أن ندخُلَ فى وسطِ الرِّجال ، لذلكَ ننتظرُ حتى يذهبوا بأغنامهم ، ثم نَسْقِى غَنَمنا . قال لهما موسى : ولماذا ترعَيانِ الغنم وأنتما

فتاتـان ؟ قالتـا : إنَّ أبانـا شـيخٌ لا يقْدِرُ علـى رعْـيِ الغنم ، ولهذا فنحنُ نرعاها .

عنـد ذلـك تقـدَّم ، فَسَـقَى لهمـا الغنـم ، وهمـا مستريحتان . فشكرتاه على عملهِ الطيِّـب ، وذهبتـا ، وجلَسَ هو فى الظِلِّ يدعو اللّه أن يرزُقَه ويُنَجِّيه .

٦

وبينما هو جالِسٌ إذْ جاءَتهُ إحدى الفتاتين ، تَمْشِي وهى تُخفِضُ نظرَها إلى الأرضِ من الحياء .

قالت : « إنَّ أبِى يَدْعوكَ ، ليجزِيَك أجْرَ ما سَقَيْتَ لنا » .

فذهَبَ معها إلى والِدها فسـأَله عـن قِصَّتـه ، وعـن سـبب مجيئِـه ، فأخـبرَه موسـى بالحقيقـة . فقـال لـه الرجل : لا تخفْ فأَنت بعيدٌ عن أرضِ فرعونَ مصر ،

ولا يُمكِنُه أن يأخُذَك من هنا ... وكان هذا الرجل هو النّبىُّ شعيب عليه السلام .

قالت إحدى البنتين لوالِدها : إنّه شابٌّ قوىٌّ وأمين ، ويستَطِيعُ أن يخدِمَكَ ويَرعَى الغَنم ، « يا أبَتِ استأجِرْه ؛ إنَّ خيرَ مَن استَأجَرْتَ القوىُّ الأَمين » .

قال شعيب : إنّى أُريدُ أن أُزَوِّجَكَ واحدة من هاتين البنتين ، فى مقابل أن تَرْعَى لى الغَنمَ مدةَ ثَمانى سنوات ، فإذا أكمَلْتَها عشرَ سنوات ، فهذا فَضْل منك ، ولن أُتعِبَكَ فى العَمَلِ يا بُنَىّ ، وسَتَجِدُ أنه رجلٌ طيب إن شاءَ اللّه .

قال موسى : أنا مُوافِقٌ واللّه شاهِد .

٧

وبعدَ عشرِ سنواتٍ أصبَح موسى حُرًّا ، فأَبْدَ رغبَتَه فى أن يأخذَ زوجَتَه ويذهب إلى مكانٍ آخر

فوافَقَ شعيب ، وأعطاهُما بعضَ الغنم ، وبعضَ الطعام ، ودَعا لهما ، وَودَّعهما .

وسار موسى عائدا فى طريقِ مِصرَ ، حتى وصل إلى جبلِ الطور . وفى ليلةٍ كان هو وزوجتُه فى الخيمة ، والجوُّ بارد . فرأى نارًا على بُعد ، فقال لزوجتِه : انتظرى هنا حتى أذهبَ إلى هذه النار ، وأُحضِرَ قطعة منها ، لنوقدَ عليها نارًا وندفأ .

ولما ذهب إلى المكان الذى شاهَدَ فيه النار ، لم يجِد نارًا ولا شيئا ، ولكنه سمع صوتًا يناديه :

« يا موسى . إنّى أَنا ربُّكَ ، فاخلَع نَعْلَيكَ ، إنك بالوادى المُقَدَّسِ طوَى . وأنا اختَرتُكَ فاستَمِع لما يُوحَى . إنّنى أنا اللّه لا إلهَ إلا أنا فاعبُدنى ، وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى » .

سَمِعَ موسى هذا الصَّوتَ فاهتزَّ جسمُه ، وارتَجَفَ

قلبُه ، ووقف صامتا لا يتكلّمُ ولا يتحرّك ، حتى عادَ الصَّوت يسألُه عن العَصا التى بيديه : « وما تِلكَ بيمينِك يا موسى » ؟ قال : هى عصايَ أَتَوكّأُ عليها وأَهُشُّ بها على غَنَمِي ، ولِيَ فيها مآرِبُ أخرى (أى فوائد أخرى) .

قال : « أُلْقِها يا موسى . فألقاها فإذا هى حيَّة تَسْعَى » .

ولما رأى موسى عصاهُ قد صارَت حيَّة ، تهتَزُّ وتتحرَّكُ ، وتتلوّى ، فَزِعَ منها وخاف ، وتركها وجرى . عند ذلك ناداه الصوت : « قال خذْها ولا تخفْ » فإنها لا تؤذيك ، فرجَع موسى وأمسَكَ بها فإذا هى تعودُ عصًا كما كانت . فعَجبَ موسى عجبًا شديدا .

وناداهُ الصَّوتُ مرةً أُخرى : « أدْخِل يدَكَ فى جيبِكَ تخرج بيضاءَ من غيرِ سُوء » .

ففعل ، فإذا يدهُ بيضاءُ شديدةُ البياضِ تَلْمَعُ فى الظلام . فظَنَّ أنها أُصيبَتْ بمرضِ البَرَص ، ولكنَّ الصوتَ قال له : لا تَخَف ، فيدُكَ ليسَتْ مريضة ، ولكن هذه معجِزةٌ لك هى والعصا التى تنقلِبُ حيَّة ، فاذهب إلى فرعَون ، وقل له قولا لَيِّنا لَعَلَّه يتذكَّرُ اللّه ، ويترُكُ القَسوةَ والظُّلم ، أظهِرْ له معجزاتِك لعله يُصدِّقُك .

خاف موسى أن يعودَ إلى مِصرَ ، فَيَقْبِضَ عليه فِرعَونُ ، ويَقتُلَه بدلَ الرجلِ الذى كان موسى قد قتلَه ، وكان لسان موسى محبوسًا ونُطقُه مُتَعَسِّرا ، فخافَ ألا ينطِقَ أمامَ فرعون ، وكان قد تركَ فى مصر أخاهُ هارُون ، وكان رجُلا صالِحا ، فدعا موسى ربَّه : « ربِّ إنى أخافُ أن يُكذِّبون ، ويَضيقُ صَدْرِى ولا ينطلِقُ لِسانى ، فأرسِلْ إلى هارون ، ولهم

علَيَّ ذنبٌ فأخافُ أن يَقتُلون » .

قال له اللّه : يا موسى لا تخف وتذكّرْ أنّنى نجّيْتُكَ وأنتَ طفلٌ صغير فاذهب بهذه المعجزات ، وأنا مَعك لا أتْرُكُك . اذهبْ أنت وأخوكَ هارُون . « فأْتِيا فِرْعَون ، فقولا إنّا رسولُ ربِّ العالمين » واطلبا منه أن يُطلِق بنى إسرائيلَ من العذابِ والتسخير .

٨

سكت الصوتُ الذى يخاطِبُ موسى ، وتلَفّتَ حولَه فلم يجِدْ أحَدا ، فارتَعَشَ جسْمُه ، ودَقَّ قلبُه ، وعادَ مُسْرِعًا إلى الخيمة ، فأَخْبَرَ زوجَته بما رأى وما سمِع ، وقال لها :

ـ هيّا بنا إلى مِصْر ، لأقابِل أخى هارُون ؛ وأذهَبَ أنا وهو إلى فرعون .

وهكذا سارا أيامًا وليالىَ حتى وصَلا إلى مِصر .

٩

وقَصَدَ موسى إلى بيتِ أخيه هارون ، وأخبَرَه بما رأى وما سمِع ، فقال هارون : لقَدْ أخبَرَني اللّه أنا أيضًا أن أذهبَ أنا وأنت إلى فِرعَون ، وما دامَ اللّه قد أمَرَنا بهذا فهيَّا بنا .

ولمّا دخَلَ موسى وهارون على فرعون : انطلَقَ لسانُ موسى فقال : أنا رسول ربِّ العالَمين ، وقد أرسَلَنى إليكَ ، لِتُطلِقَ معى بنى إسرائيل .

قال له فرعون : أَلَسْتَ أنت ذلكَ الطِّفلَ الذى ربَّيْناهُ صغيرا ، وبعدَ ذلك قَتَلْتَ الرجلَ وهَرَبْتَ ؟

قال موسى : بلى ! أنا فَعَلْتُ ذلك ولكن اللّه تاب علىَّ وعَلَّمَنى وجَعَلَنى رَسُولا .

قال فرعون : وما هو اللّه الذى تتحدَّثُ عنه

وتقول : إنه أرْسَلَك ؟

قال موسى : اللّه ربُّ العالمين . ربُّكم وربُّ آبائِكم الأَوَّلِين .

قال فرعون : وما دليلُك على هذا الكلام الذى تقول ؟ « إن كنتَ جئتَ بآيَةٍ (أى علامة) فَأْتِ بها إنْ كُنتَ من الصَّادِقين » .

« فأَلْقَى عصاهُ فإذا هى ثُعْبانٌ مُبين ، ونَزَعَ يَدَهُ فإذا هي بَيضاءُ للناظِرين » .

قال الجالِسونَ حولَ فِرعون من الأُمراءِ والحكّام : « هذا ساحِرٌ عليم » . قال فرعون :

ـ إنَّ عندَنا سَحَرةً كثيرين ، وسَنَجْمَعَهُم ليسحَروا مثل سِحْرِك هذا يا موسى ، وسَنُخَصِّصُ يومًا نجتَمِعُ فيه أنتَ وهُم ، ونَرى مَن الذى يَغْلِب أيُّها الساحر الذى تقول إنّك رسولٌ من ربِّ العالمين !

١٠

وفى اليومِ المُحَدَّدِ جلَسَ فِرعَونُ ورجالُ الحكومةِ وجموعٌ كثيرةٌ من الناسِ فى الميدانِ الواسِع أمامَ القصْر ، وحَضَرَ السحَرَةُ من كل مكان ، وجاءَ موسى وأخوه هرون ، وقال السحَرةُ لفِرعَون : إذا غَلَبْنا أَتُعطِينا جوائِزَ ومُكافَآت ؟ قال : نعم يكونُ لكم عندِى مَقامٌ عَظيم .

قال السحرةُ لموسى : تبدَأُ أنت أو نبدأُ نحن ؟

قال لهم موسى : ابدءُوا أنتم .

فَأَلْقَوا عِصِيَّهم وحبالهم ، فظهرت كأنها حياتٌ تتحرَّكُ وتتلَوَّى ، فيها الكبيرُ وفيها الصغير ، فخاف موسى فى نفسه عندما رأى المكانَ الواسعَ كلّه مملوءًا بالحيَّاتِ والثعابين ، ولكنَّ اللّه أوحَى إليه :

« لا تَخَفْ إنك أنت الأعْلَى ؛ وأَلْقِ ما فى يمينك

تَلْقَفْ ما صنعُوا ، إنَّ ما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ ، ولا يُفْلِحُ الساحِرُ حيث أتَى » .

فألقاها ، فإذا هي حَيَّةٌ ضخمة جدا ؛ تُحرِّكُ رأسَها هكذا وهكذا ، وقدْ فتَحَت فَمها الواسِع ، وأخذَتْ تَلْقَفُ الحياتِ الكثيرة ، وتجرِى وراءَها وتبتلِعُها ؛ والناس مفزوعون مرعُوبُون ، حتى لم تَبْقَ حيَّةٌ واحدةٌ مما صَنَعَ السحَرة ؛ وعند ذلك تقدَّمَ موسى ، وأمسكَ بحيَّتِه ، فإذا هي عصا .

عند ذلك عرَفَ السَّحَرَةُ أنَّ موسى ليس ساحِرًا مثلَهم ، ولا بد أن يكونَ صادِقا في قوله : إنَّ اللّه أرْسَلَه ، وإن اللّه هو الذى يُساعِدُه ، فقالوا : « آمَنَّا بربِّ العالَمين ، ربِّ موسى وهارون وسجدُوا على الأرضِ لله .

ولَّما رأى فِرعَونُ ذلك غَضِبَ غضبًا شديدًا على

هؤلاءِ السَّحَرة ؛ لأنهم آمنوا بإلـهِ موسَى وهـارون ، وقال لهـم : إنـهُ سيُعذِّبُهم عذابًـا شـديدا ، فَسَيَقْطَعُ أيديَهـم وأرجُلَهـم ، ويصلُبُهـم فـى جـذوع النَّخـل ، جزاءً لهم على الخُضوعِ لموسـى السـاحِر ، فقـد كـان فرعون لا يزالُ يَظُنُّهُ ساحرا ، ولا يُصدِّقُ أنه رسول .

فردَّ السَّحَرةُ علـى فِرعَـون قـائِلين : نحنُ لا نخـافُ عذابَـك ، فـأنت تُعذِّبُنـا فــى الدنيـا ، ولكــنَّ اللّــه سيُدخِلُنا الجنّةَ فى الآخِرة ، والجنةُ أفضَلُ من الدنيـا ، فاصنَع ما تُريد ، فإننا لن نرجِعَ إلى دينِنا القديم .

١١

عَزَمَ فرعـونُ أن يُعـذّبَ هـؤلاءِ السـحرةَ ويَقتُلَهـم كما قال لهم . ولكن قبلَ أن يفعَلَ ذلك فـاضَ النيـلُ فيضانًا شـديدا ، وبـدَأ يُغرِقُ المُـدُنَ والقُـرَى . فقـال بعضُ الناس : هذا ذنـبُ موسـى وهـارون والسـحرةِ

وبنى إسرائيل ، وإذا كان فرعونُ سيقتُلُهم ويُعَذِّبُهم ، فإنَّ هذا الفيضان يستَمرُّ ويُغرِقُ البلادَ جميعا .

وذهبَ الناسُ إلى فِرعَون ، وقالوا لـه هـذا الكـلام ، وطلبوا منه أَلا يقتُلَ السَّحَرة ، وأن يُخَفِّفَ العذابَ عن بنى إسرائيل . فأرسَلَ فِرعونُ إلى موسى وقـال لـه : إذا هدَّأْتَ هذا الفيضانَ ، فإننى أُطلِقُ لكَ بنى إسرائيل .

فدعا موسى ربَّه أن يُهَـدِّئَ هـذا الفيضـان ، فأجـاب اللّه دعاءَه ، وانخَفَضَ النيل ، وعاد إلى داخِلِ الجسور .

ولكنَّ فرعونَ استمرَّ فى تعذيب بنى إسرائيل .

وبعـدَ أيامٍ ظهَـرَ الجـرادُ فـى الحُقـولِ والمـزارِعِ والحدائِقِ بكثرةٍ فظيعـة ، وانتشـرَ فـى كـل مكـان ، حتى أكَلَ الزَّرعَ الأخضَرَ كلّه ، وهجَمَ على البيـوتِ والناس ، فقال بعضُ العُقلاء ، إنَّ هـذا ذَنـبُ موسـى وهارونَ والسَّحَرة ، وإذا كان فِرعَونُ لَـن يُطلِقَهـم ،

فإنَّ هذا الجرادَ يأكُلُنا بعد ما أكَلَ الزَّرعَ والثمار .

وذهبوا إلى فِرعَون ، وقالوا له هذا الكلام ، وطلَبوا منه أن يُطلِقَ بنى إسرائيل ، فأَرسَلَ فِرعَونُ إلى موسى وقالَ له : إذا طردت هذا الجرادَ عن الأرض ، فإنّنِي أُطلِقُ لك بَنى إسرائيل .

فَدعا موسَى ربَّه أن يطرُدَ هذا الجراد ، فأجابَ اللّه دعاءَه ، ورحَلَ هذا الجرادُ عن مِصرَ .

ولكنَّ فِرعَونَ استمرَّ فى تعذيبِ بنى إسرائيل .

وبعدَ أيامٍ رأى الناسُ ملايينَ الضَّفادِع تخرُجُ من النيل ومن التُّرَعِ والبرك ، وتقفِزُ إلى الشوارع ، وتدخُلُ البيوتَ ، وتنطُّ فى حجورِ الناس ، وفى طعامِهم الذى يأكُلون ، وشرابِهم الذى يَشْرَبون . فقال جماعةٌ من الناسِ الطَّيِّبين : هذا ذنبُ موسى وقومِه، وإذا كان فِرعونُ لا يَرحَمُهم فإنَّ هذه الضفادِعَ لن تترُكَ بيوتَنا ،

ولن تَتْرُكَ لنا طعامًا ولا شرابا .

وذهب الناسُ إلى فِرعَون ، وقالوا له هذا الكلام ، وطَلبوا منه أن يُطلِقَ بنى إسرائيل . فأرسَلَ فرعونُ إلى موسَى وقال له :

ـ إذا أبْعَدْتَ هذه الضَّفادِعَ عنَّا فإنَّنى أُطلِقُ لك بنى إسرائيل .

فدعا موسى ربَّهُ أن يرُدَّ هذهِ الضَّفادِعَ عن الناس . فأجابَ اللّه دُعاءَه ، وعادت هذه الضَّفادِعُ إلى المياه .

ولكنَّ فِرعَونَ استمرَّ فى تعذيبِ بنى إسرائيل .

وبعدَ أيامٍ أحَسَّ الناسُ أنَّ أجسامَهم وملابسَهم قد امتلأَت بالقُمَّل ، الذى يلسَعُهم لسعًا شديدا ، فراحوا يُحكُّونَ جلودَهم بأظْفارِهم ، والقُمَّلُ يتكاثَر ، والهَرْشُ يزيد ، حتى قَطَّعُوا جلودَهم بأظافِرِهم .

وقال الناسُ : إنَّ هـذا ذَنبُ موسى وهارونَ وجماعَتِهما ، وإذا لم يُطلِقْهم فِرعَون ، فإنَّ هذا القمَّلَ سَيَمَصُّ دماءَنا مَصّا .

وذهَبُوا إلى فِرعَون وقالوا له هذا الكلام ، وطلبوا منه أن يترُكَ تعذيبَ بني إسرائيل . فأرسَلَ فِرعَون إلى موسى ، وقال له : هل تستطيعُ أن تطرُدَ هذا القُمَّلَ عن الناس ؟ إنّك إذا فعلْتَ هذا فأنا أُطلِقُ لك بني إسرائيل .

فدعا موسى ربَّه أن يُخلِّصَ الناسَ من هذا البلاء ، فاستجابَ اللّه دُعاءَه ، واختفى هذا القُمَّل .

ولكنَّ فرعون لم يُطلِق له بني إسرائيل .

وفى الصَّباح قَدَّمَ الخدَمُ اللَّبَنَ إلى فِرعون لِيُفطر ، فنظر فوجَدَ الإناءَ مملوءًا بالدم . فغضِبَ غَضَبًا شديدا ، وقال للخَدَم : أهكذا تُقَدِّمون لسيِّدِكم الدَّمَ

ليشْرَبَه ؛ إنَّ جزاءَكم سَيكونُ الذَّبح ، لتَشرَبَ الكلابُ من دمِكم أيها العبيد .

ولكنَّ الخَدَم حَلَفُوا أنهم جاءُوا باللَّبَنِ منَ البَقَر ، وأنَّهم لم يَضَعُوا نُقْطَةَ دمٍ واحدة ، فلم يُصَدِّقْهم فِرعونُ أبدا .

وكانَ رِيقُهُ قدْ جَفَّ من الغَضَب ، فطَلَبَ كُوبًا من الماء ، وعندما نظرَ فيه وجَدَهُ مملوءًا بالدَّمِ أيضا . فصاحَ في غَضَبٍ شديد : أيُّها الكلابُ سأذبَحُكُم جميعا !

وفي هذه اللَّحظَةِ وَصَلَت الجَماهيرُ إلى القَصرِ تصرُخ وتقول : أدْرِكنا أيُّها المَلِك ، أنْقِذنا من العذاب ، أطلِق بني إسرائيلَ قبلَ أن نَهلِكَ بِسَبَبهم .

فأَطَلَّ الملكُ عليهم وهو غاضِب ، وقالَ : ما لَكم ! هل جُنِنْتُم ؟ قالوا : إنَّ كلَّ السوائِلِ قَدْ تَحَوَّلَتْ إلى دَم . فلَمْ نَعُدْ نَستَطيعُ أن نَجِدَ ماءً ولا لَبَنًا ولا

عسلا . كلُّ شيءٍ قد صارَ دَما ، ارْحَمْنا أيُّها المَلِك .
ارحمنا وأطلِق بني إسرائيل .

عندَ ذلك عَرَف فِرعَون أن عَبيدَه وخدَمَه أبريـاء ، وأنَّ هـذا ذنـبُ مُوسَـى وهَـارُونَ والسَّـحَرةِ وبنـى إسرائيل . فأرسَلَ إلى مُوسَى وهارونَ وقال لهما : في هذه المَرَّة سأُطْلِقُ لكما بنى إسرائيل ، إذا ذهَبَ هـذا البلاءُ عن البلاد .

فدعا مُوسَى وهارونُ ربَّهما ، أن يُذهِبَ هذا البلاءَ عن الناس ، وفى الحال ، صار الماءُ ماء ، واللَّبنُ لبنا ، والعسَلُ عسَلا ، وكلُّ شيءٍ كما كان .

فَأَمَرَ فِرعَونُ بإطلاقِ بنـى إسـرائيل ، وقـال لموسـى وهارون : أنتم أحرارٌ ابتداءً مـن اليـوم ، وقـد انتهـى عَنْكُم العذاب .

١٢

فرِحَ بنو إسرائيل فَرَحًا شديدا ، وأقاموا الأفـراح ، وصَلَّـوا لربِّهـم الـذى أنقَذَهـم مـن العـذابِ الأليـم ، وقالوا لموسـى وهـارون : يجِـبُ أن نَخْـرُجَ كلنـا مـن مِصر ، ولا نَبْقَى فيها أبَدًا بعـدَ ذلـك ، خوفًـا مـن أن يَعودَ فِرعَون فيُعَذِّبُنا من جديد .

قال العقـلاءُ منهـم : لا تُخْـبِروا أحَـدًا بهـذا ، لأنَّ فِرعَـونَ إذا عَـرفَ أننـا مُهـاجِرون مـن مصـر ، فإنّـه يَغضَبُ علينا ، ويُعَذِّبُنا عذابًا شديدا .

وفى السـرِّ ابتَـدأوا يجمعـونَ أمتِعَتَهـم ، ويَربطونَهـا ويَستَعِدُّونَ للسَّفَر ، دونَ أن يشعُرَ بهم أحد .

وانتظرَ بنُو إسرائيلَ حتى طَلَعَ القمَرُ فى الليل ، ثم خرجُوا سِرًّا ، بكلِّ ما قَدَرُوا على حَمْلِه من أمتِعَتِهـم ومن الحُلِيِّ الذَّهَبية ، وسارُوا بسرعةٍ شديدةٍ حتـى لا

يتنبَّه أحدٌ إلى خروجِهم ، واتّجَهـوا إلى الشّرقِ جِهـةَ البحرِ الأحمَرِ والبُحَيْراتِ المُرَّة وبحيرة التِّمساح .

وقُرْبَ الصُّبْحِ صحَا بعضُ المِصريين فلم يَجِدُوا بنى إسرائيل فـأخبَرُوا فِرعَـون ، فـأخذَ الحَرس ، وخَـرَجَ وراءَهم بسرعةٍ شديدة .

ونظَـرَ بنـو إســرائيل فوجَـدُوا فِرعَـون وجنـودَه يتبعونهم ، فخافوا خوفًا شديدا ، وقالوا لموسى ، لقد كنت سببا فى هَلاكِنـا وموتِنـا . فهـا هـو ذا فِرْعَونُ يَتْبَعُنا ، وسَيَقْتُلُنا جميعا ، مالنا نحنُ ومالَك يا موسـى ؟ لقـد كنّـا عائِشـينَ فـى بَلَدِنـا ، ومهمـا كـانَ الشُّـغْلُ والعذابُ فهو أحْسَنُ من الموت . يا ويلَنا . يا ويلَنا ! ويا ويلَكَ يا موسى !

عِندَ ذلك أوحَى اللّه إلى مُوسَى أن يَضْرِبَ الماءَ بعصاه ، فضرَبَه فانفلَقَ الماءُ وانشقَّ فيه طريقٌ يابس ، والماءُ من على جانِبيه كأنّه الجبال .

ولما رأى بنو إسرائيل هذا الطريقَ المفتوحَ في وسطِ الماء ، اندَفَعُوا إليه وجرَوا جَرْىَ الخائِف ، والخائِفُ يَجْرِى بسرعةٍ شديدة . وظلُّوا يَجْرُون ويَجرُون حتى خرجُوا إلى الشاطئ الآخر .

وكان فِرعَونُ وجنودُه قد وصلُوا في هذه اللّحظَة ، فدخَلُوا وراءَ بنى إسرائيل ، فما شعَرُوا إلاّ والماءُ يُطبِقُ عليهم جميعا ، فَيَبْتَلِعُهُم بَلْعا ، ولا يظهرُ لهم أثَر .

أمَّا فِرْعونُ فحينَ أحَسَّ بالغَرَق صاحَ : « الآن آمَنْتُ أنّهُ لا إلَه إلا الذى آمَنَتْ به بَنو إسرائيل ، وأنا من المُسلِمين » .

ولكنَّ هذا لم ينْفَعْه ، فقدْ غَطَّاهُ الماء ، واختَنَق ومات ، وظهَرَ جِسْمُه على سَطْحِ الماء بعد ذلك هو وحْدَه ، أمَّا جنوده فلم يظهَرْ لهم أثر ، ونجا موسى ومن معه ، وسارُوا في طريقهم إلى جبلِ الطور .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

موسى والألواح

عبد الحميد جودة السحار

- ١٢

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

موسى والألواح

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

نَجَّى اللَّه بنى إسرائيلَ على يَدَى مُوسَى ، وأخرَجَهُم من عَذابِ فرعَونَ لهم فى مِصْر ، وسار بهم موسى إلى صحراءِ طور سينا ، التى بها جبَلُ الطور الذى كلَّمَه اللَّه فيه أوَّل مرة ، وأمَرَه أن يذهَبَ إلى مصر ليُنقِذَ بنى إسرائيل ، ويُخرِجَهم منها .

وفى هذه الصحراءِ لم يكن يوجَدُ ماءٌ ولا نباتٌ ولا شجر ، ولا شىءٌ يأكُلُه أو يَشربَهُ بنو إسرائيل ، فأعطاهم اللّه من عِندِه طعامًا آخَرَ لذيذا ، مُكوَّنًا من طيورِ السِّمَّان والعسل . ينزِلُ عليهم ولا يعرِفون من أينَ يأتيهم ، وأمَرَ اللَّه موسى أن يَضربَ الصَّخرةَ بعصاه فتفجَّرَتْ فيها اثنتا عشرة عينًا من المياه العذبة . وكان بنو إسرائيل يتكونون من اثنتَى عشرة

أُسرة ، فَرَتّب موسى لكلِّ أُسرةٍ عينًا من هذه العيونِ تشرَبُ منها .

ثم أمَرَهُ اللّه أن يَصعَدَ وحده إلى الجبل ، ويأخذَ معه عشرةَ ألْواح ، ليكتبَ اللّه له فيها وصايا تنفعهُ وتنفَعُ بنى إسرائيل ، وتُبيِّن لهم الحلال والحرام ، والنّافِعَ والضار ، وأخبَرَه أن هذا يحتاجُ إلى أربَعين ليلةً يكونُ فيها بعيدًا عن قومِه على قمّةِ الجبل .

عند ذلك تجهَّزَ موسى لهذه الرحلة الطويلة ، وأخذ ألواحَه العَشَرة ، وزادَه لمدةِ أربعين ليلة ، وقال لأخيه هارون : ابقِ أنت هنا مع القوم ، ترشِدُهُم وتحافِظ عليهم حتى أعُود .

٢

لمّا صَعدَ موسى إلى الجبَل ، اشتاقَ أن يَرَى إلَهه الذى يكلّمهُ ولا يراه . فقال : « ربِّ أَرِنى أَنظرْ إليك » .

قال : « لن تراني » (فموسى إنسانٌ ، والإنسانُ لا يُمكِنُه أن يَرَى اللّه) « ولكن انظر إلى الجبل » ونظَرَ موسى إلى الجبل تحت قدميه ، فإذا بالجبلِ يهتزُّ ويرتجِف ويتفتّت من نظرَة اللّه إليه .

فصُعِقَ موسى ، وأُغمِيَ عليه ، وارتَمى على وجهِه ، وبَقِيَ هكذا فترةً طويلة ، حتى ناداه اللّه . فسمع نداءَه ، وصحا ، فوَجَدَ الألواحَ مكتوبة ، وفيها أوامِرُ اللّه له ولِبَني إسرائيل ، وإرشاداتٌ تُعَرِّفُهم كيف يُصَلُّون ، وكيف يُعامِلُ بعضُهم بعضا ، وكيف يُداوُونَ المَرضَى منهم ، وكيف يحاربون ... وكل ما يجب عليهم أن يَعرِفُوه ، فَأَخَذَ الأَلواحَ ونزلَ من الجَبلِ ذاهبا إلى بني إسرائيل .

٣

وهناك وجدَهُم يعبُدُونَ عِجْلاً من الذّهبِ يُسمَعُ له صوتٌ عجيب !

غَضِبَ موسى غَضبًا شديدا ، عندما راى قومه يعبُدونَ العِجْل ، بعدَ ما أرسَلَه اللّه لإنقاذِهم من فِرْعَون ، وأرْسَلَ هم طيورَ السِّمَّان والعسلَ المُصَفَّى ليأكُلُوا منها فى الصَّحْراء ، ثم كتب هم هذه الألواحَ التى فى يدِه ليُرشِدَهم ويُعَلِّمَهُم .

ألْقَى موسى الألواحَ من يدِه ، وأمسَكَ بخناقِ أخيه هرون ، وجذبَ شَعْرَه ، وشَدَّ لِحْيَتَه ، وهو يقولُ له : كيف تركتَ قومَنا يعبُدونَ هذا العِجْل ، وأنت تعرِفُ أنَّ لهم إلهًا فى السماء ، هو الذى أرسلَنا إلى فِرعَون .

قال هَرون : « يا بنَ أُم ، لا تأْخُذْ بِلِحْيَتى ولا

برأسى » فقد خِفْتُ أن أقولَ لهم : لا تعبُدوا هذا العِجْل ، فيُطِيعُنى بعضُهم ، ويعصينى بعضُهم ، ثم يتعارَكُ هؤلاءِ وهؤلاء ، ويصبحُ بعضُهم لبعضٍ أعداءً ، فتلومُنى على هذا عندما تعود .

قال موسى : ومن أين جاءُوا بهذا العِجْل ، ومَن الذى صَنَعَه لهم ؟

قال هَرون : صنَعه لهم رجُلٌ يقال له : « السَّامِرىّ ! » .

فاستدعاهُ موسى ، وسألَه : كيفَ صنَعتَ هذا العِجل ؟

قال السَّامِرى : وجدتُ مع القَومِ حُلِيًّا كثيرةً من الذهب ، وصَهَرْتُه ، وصَنَعْتُ منه هذا العِجل .

قال موسى : ولكن هذا العِجل له خُوارٌ كأنَّه عجلٌ حىّ ، فكيفَ جَعَلْتَ له هذا الصوت ؟

قال السامرىّ : لقد نزلَ جبريلُ من السماء ، وكان يمشى على الأَرض فى هيئة إنسان ، وقد

عرفتُ أنا أنَّ هذا جبريل ، فأخَذْتُ قَبضَةً من الترابِ الذى سارَ علَيه ، وألْقَيتُها على هذا العِجل ، فصارَ يقدِرُ على إخراجِ هذا الصَّوت الذى يُشبه خوارَ الثِّيرانِ الحيَّةِ الحقيقية . فلمَّا سمِعَه القَومُ قالوا : هذا إلَه . وسَجَدُوا له وعَبَدُوه .

قال له موسى : إنَّ الله سيُعَذِّبُك عَذابًا شديدا لأَنك صَنَعْتَ هذا العِجْلَ بهذا الشكل ، حتى إنَّ هَؤلاءِ الجُهلاءَ اعتَقَدُوا أنّه إله .

٤

وعندما هَدَأَ موسى ، وذهبَ عنه الغضب ، تناول الأَلواح ، وأخذ يقرؤها على بنى إسرائيل ، ويُعلِّمهم ما فيها ، وينظِّم معيشَتَهم كما أمرهُ اللّه فى هذه الأَلواح ، ثم سافروا حتى قَرُبُوا من فِلَسْطين فقسَّمَهم فِرَقًا لِيَتعلّموا الحربَ والقتال ، ذلك أنهم

كانوا ذاهبين إلى أرض فِلَسطين ليحاربوا أهلَها ، وكانوا في هذا الوقت كُفّارًا يعبدون الأصنامَ ، وقد قال اللّه لموسى : إنّه يجبُ أن تحاربوا هؤلاءِ الكفار ، وتأخُذوا هذه الأَرض وتسكنوا فيها .

فلمَّا أخبَرَهم موسَى بذلك قالوا : وهل أخرجتَنا من مصر التي فيها جميعُ الخيراتِ ، لتأْتي بنا إلى هذِه الصحراء ، ثم تقول لنا حارِبوا أهلَ فِلسطين . لا لا . ارجع بنا إلى مصر ، فإننا نريد أَن نكون عبيدًا لفِرعَون ، ولا نحبُّ أن نُحارِب ونموت !

وكانوا في هذا الوقتِ جالسين تحت صخرة عظيمة ، فنظروا فرأَوا هذه الصخرة قد ارتفعت في الجو ، ووقفت فوقَ رءُوسهم ، فخافوا أن تَقَعَ عليهم فتُهلِكَهم جميعا ، فصرخوا وبكَوا وولولوا . وقالوا أنقِذْنا يا موسى . ادع ربَّكَ أن يُنقِذنا ، ولك علي

عهد أن نذهبَ ونحاربَ أهلَ فِلسطين كما تأمُرُنا .

عند ذلك دعا موسى ربَّه ألا تسقُط هذه الصَّخرة على قومِه ، فاستجابَ اللّه دعاءَه ، وثبَّتَ الصَّخرةَ في الجوِّ في مكانها ، وبَقِيَت مُعَلَّقة ، لا تنزِلُ الأَرض، ولا تسقُطُ على بنى إسرائيل .

٥

ولكن بنى إسرائيل بمجرَّد أن اطمأنُّوا وبَعُدُوا عن الصَّخرة ، عادوا لا يسمعُونَ كلامَ موسى ، ولا نصائِحَه لهم ، وخالَفوا أوامِرَ اللَّه المكتوبةَ في الأَلواح ، والنظام الذى أمَرهم به في حياتهم .

وفى يومٍ وُجِدَ أحدُهم مقتولا ، فجاءُوا به إلى موسى ، فقال لبنى إسرائيل : مَن منكم قتلَ هذا الرجل؟

وكانوا يعرفونَ أنَّ اللّه كتب لموسى في الأَلواح : أنَّ مَن يقتلُ إنسانًا بغير ذنبٍ فلا بد أن يُقتَلَ مثلَه ،

ومَن قَلَعَ عينا ، أو كسرَ سِنًّا ، أو خَلَعَ أذنًا ، أو قَطَعَ أنْفًا .. لأَىِّ إنسان ، أو جرحَه أىَّ جُرح فى جسمه ، فلا بدَّ أن يَنالَ جزاءَه مثلَما صَنَع .

لذلك لم يقِرَّ أحد أنه قتلَ ذلك الرجل .

فدعا موسى ربَّه أن يُعَرِّفَه من هو القاتِل . فقال لـه اللَّه : اذبَحُوا بقرةً واضرِبُوا هذا الميِّتَ بِجلْدِها ، فإنَّه عندئذ يُخْبِركم هو نفسه من الذى قتله .

« قال موسى لقومِه : إنَّ اللَّه يأْمُركم أنْ تذبحوا بقرة » .

« قالوا : أَتتَّخِذُنا هُزوًا » يعنى هل تسخر منا يا موسى ؟

قال : « أعوذُ باللَّه أن أكونَ من الجاهِلين » .

عندئذ أرادُوا أن يُماطِلُوا فى المسألة :

« قالوا : ادعُ لنا ربَّكَ يُبيِّن لنا ما هىَ » .

قال : إنه يقول إنها بقرةٌ متوسِّطةُ السِّن ، لا هى عجوزٌ ولا هى صغيرة .

قالوا : « ادعُ لنا ربَّك يبينْ لنا ما لونُها » .

قال : « إنه يقول إنها بقرة صفراءُ فاقعٌ لونها تسـرُّ الناظرين » .

قالوا : « ادعُ لنا ربَّك يُبيِّن لنا مـا هـيَ ، إنَّ البقَـر تشابَهُ علينا ، وإنّا إن شاءَ اللّه لمهتَدُون .

قال : إنه يقولُ إنها بقرةٌ لا تجـرُّ المحـراث ولا تديـرُ الساقية .

وعندَ ذلـك فقـط رضَـوا أن يذبحـوا هـذه البقـرة ، فذبحوها ، وأخذ موسى جلْدَها وضـرب بـه القتيـلَ ، فنطقَ ودلَّ على من قَتلَه . فأخذَه موسى وقتله .

٦

وعادَ بنو إسرائيل يقولـون لموسـي : لقـد أخرَجْتنـا من مصرَ الجميلةِ ذاتِ الظّلالِ والأَنهار ، وجئـت بنـا إلى هذه الصحراء ، والشـمس تُحرقُنـا فيهـا . فدعـا موسى ربَّـه فأرسَلَ السَّحابَ ، يُظَلِّـلُ بنـى إسرائيلَ ويحميهم من الشمس .

ولكنهم عادوا يقولون لموسـى : لقـد أخرَجتنـا مـن مصـرَ وفيهـا كـلُّ الثمراتِ والخيرات والأَطعمـة ، وجئْتَ بنا إلى هذه الصحراءِ التى لا نجدُ فيها شيئًا مما تعوَّدنا أكلَه من الفُولِ والعدَسِ والثّومِ والبصل .

فسأل موسى ربَّه في ذلك ، فقال له : قـل لهـم إن كانوا يُريدون هذه الأَشياءَ فليرجِعوا إلى مصر ، ففيها كل ما يطلبون .

فلما قال لهم موسى ذلك قالوا : وهل نستطيع الآنَ أن نَرجِعَ إلى مصرَ بعدَ أن أخرَجتَنا منها ، إننا لو رجعنا إليها لذبحونا ذبحا .

٧

وفي يومٍ من الأَيام جمَعَهم موسى جميعا ، وقال لهم :

ـ إنَّ اللّه ربَّكم يأْمُرُكم أن تدخلوا أرضَ فلسطين ، وأن تحاربوا أهلها الكفّارَ وتسكنوا فيها .

عندَ ذلك خافوا وارتعشوا ، ولم يرضَوْا أبدا .

« قالوا : يا موسى إنَّ فيها قومًا جبَّارين ، وإنّا لن نَدخُلَها حتى يخرجوا منها . فإن يخرُجُوا منها فإنّا داخِلون » .

قال لهم موسى : يا قوم اذكروا نِعمةَ اللّه عليكم إذ أنجاكم من آلِ فِرعَونَ يُسُومُونكم سوءَ العذاب ،

يُذبِّحونَ أبناءَكم ، ويستَحْيُونَ نساءَكم . يا قَوم اذكروا نعمَةَ اللّه عليكم حينَ فَرَقَ بكم البحرَ وأنجاكم ، وأغْرَقَ فِرْعَوْنَ وأهْلَه وأنتم تنظرون . يا قوم اذكروا نعمةَ اللّه عليكم إذ عَبَدتُم العِجلَ بعدَ ذلك ، ثمَّ غَفَرَ اللّه لكم وسامَحكم ، يا قوم اذكروا نِعمَة اللّه عليكم إذ أعطاكم المَنَّ والسلْوى تَأكلونَ منها ، وفجَّرَ لكم الماءَ عُيونًا من الصَّخرةِ لتشرَبُوا فى الصحراءِ ، وجَعَلَ الغَمامَ فوقَ رُءُوسِكم ليحمِيَكم من الشمس . يا قوم اسمَعُوا وأطيعوا وادخلوا الأَرضَ المقدَّسةَ ولا تَخافوا .

قالوا : يا موسى أتُريدُ أن تُهلِكَنا وتَقتُلَنا ؟ إننا نعرفُ أهلَ فِلسطين ، ونعرِفُ أنهم أقوياءُ الأَجسام قساةُ القلوب ، لا نستطيعُ أبدًا أن نُحارِبهم . وإذا كنت قويًّا كما تقول ، أو كان ربُّكَ قويًّا ، فلماذا لا

تذهبان أنت وهو فتحاربان هؤلاءِ الجبارين ؟ قل لربِّك يُهلِكْهم جميعا ، فندخُلَ ونحنُ آمِنون !

وكان هناك رجلان مؤمنانِ من قومِ موسى ، فقالا للقوم : « ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه ، فإنكم غالبون » .

« قالوا : يا موسى إنّا لن ندخُلَها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » .

عند ذلك حزِنَ موسى حُزْنًا شديدا ، وعرَفَ أن كلَّ تَعَبِه معَ هؤلاءِ القوم قدْ ضاع ، وأنه لا فائدةَ منهم ، ولا يمكن أن يكونوا شُجْعانًا ولا مُحارِبين ، وأنهم لا يُريدونَ إلا الطّعامَ والشرابَ وهم مُستريحون ، فتوجَّه إلى اللّه سبحانه وتعالى يَشكو ويتألّم :

« قال ربِّ إنّي لا أملِكُ إلاّ نفسي وأخي . فافرُقْ بينَنا وبينَ القَومِ الفاسِقين » .

قال : « فإنّها مُحرّمةٌ عليهم أربَعينَ سنة يَتيهون في الأَرض ، فلا تَأْسَ (أي لا تحزَن) على القومِ الفاسقين» .

٨

عندَ ذلكَ هَبَّتْ رياحٌ شديدة ، مملوءَةٌ بترابِ الصحراء ، فَقَلَعَت الخيامَ التي يسكنُ فيها بنو إسرائيل وطَيَّرتْها بعيدًا ، وحَطَّمَتْ قدُورَهم وأمتِعَتَهُم ، وأشعَلَت الحرائِق في أشيائِهم ، فخرجُوا هاربينَ في الصحراء ، وفي ذلكَ الوقتِ بَرَقَ البَرقُ ورَعَدَ الرَّعدُ ، ونزِلَتِ الأمطارُ ، وأظلَمَتِ الدنيا ، فلم يَعْدُ أحَدٌ منهم يَرى أحَدا .

فخافُوا وفزِعُوا ، وراحَ كلٌّ منهم يجري هنا وهناك ، والصَّواعِقُ تنزلُ عليهم من السَّماء ، فَتُحْرِقُ بَعضَهم ، والبعضُ الآخَرُ يجري ويصرُخ .

وهكذا استمرّت هـذه العواصِفُ عـدّةَ أيام حتى تفَرَّقُوا فـى الصحـراء الواسـعة ، ولم يَعُـد أحـدٌ منهـم يلقى أحدا ، وتاهُوا فى الرّمالِ لا يعرِفُونَ الشّرقَ مـن الغَربِ ، ولا الشمال من الجنـوب ، عقابًـا لهـم علـى الكُفرِ بنعمةِ اللّه ، والسُّخريةِ من قُدْرةِ اللّه .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

موسى عليه السلام

والرجل الصالح

١٣

عبد الحميد جودة السحار

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

موسى والرجل الصالح

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

تفرَّقَ بنو إسرائيلَ فى الصَّحراء ، بسببِ عِصيانهم لأوامِرِ اللّه ، وتاهُوا فى الرِّمال ، فلم يَعُدْ أحدٌ منهم يَعرِفُ مكانَ أخيه .

أمَّا موسى فسارَ ومَعهُ فتىً من قومِه ، كانَ يتابِعُه دائِما ، ويُساعِدُه فى قضاءِ حوائِجِه ، وتَحضيرِ طعامِه وشرابِه .

وكانَ اللّه قد وعَدَ موسى أنْ يَجْمَعه برجُلٍ صالحٍ عالِمٍ ، يُعلِّمُه أشياءَ كثيرةً لا يَعلَمُها ، وأخبَرَه أنَّه سيَلقَى هذا الرجلَ عندَ مجمَعِ البحرَين ، أى فى الجِهةِ التى يلتَقِى فيها البحرُ الأحمر بالتُّرعة الخارجة من فرع النيل .

فقال موسى لفتاه : لا بدَّ أن أسير وأسيرَ حتى

أصِلَ إلى مَجْمَعِ البحرَين . حتى ولو ظَلَلْتُ أسيرُ أعوامًا طويلة .

ثم سارا ، وسارا ، وسارا .

وكان الغُلامُ قد اصطادَ حُوتًا من السمك ، ليصنعَ منه غداءً لموسى ولنفسِه ، فلمَّا وصلا إلى نُقطَةِ التقاءِ البَحرَين ، وجدا هناكَ صخرةً كبيرة ، فَجَلَسا عليها يستريحان ، ووضَعَ الفتى حُوتَه بجانِبه ونَسِيَه ، فتسَرَّبَ إلى البَحرِ ودبَّت فيه الرُّوح وغاص .

وانتظَرَ موسى فلم يجِدْ ذلك الرجلَ الصالِحَ العالِم ، فقامَ يمشي ومَعَه فتاه ، يبحثُ عنه هنا وهناك ، حتى ابتعَدا عن مَجْمَعِ البحرين .

ولَمَّا أَحَسَّ موسى الجوعَ والتعب ، جلس يستريح .

« قال موسى لفتاه : آتِنا غَداءَنا ، لقَد لَقِينا من سَفَرِنا هذا نَصَبا » .

عندئذ تذكَّرَ الفتى أنّه نَسِيَ الحُوتَ عِندَ الصخْرة .

« قال : أرأيتَ إذ أَوَيْنا إلى الصَّخْرة ؟ فإنِي نَسيتُ الحُوتَ . وما أنْسانِيهُ إلا الشيطانُ أَن أَذْكُرَه . واتّخَذَ سبيلَه في البحر عَجَبا .. » .

ووقف الفتى خَجلا .

أمَّا موسى فقال فى نفسِه : لا بُدَّ أنَّ اللّهَ يُريدُ أن نرجعَ إلى مَجْمَعِ البحرينِ ، لأَلْقَى ذلك الرجُلَ الصَّالِح . فَسُرَّ فى نفسِه ، وطمأَنَ الفتى ! قال : « ذلكَ ما كُنّا نَبْغِ » .

وعادا إلى مجمع البحرين ، وعندَ الصَّخْرَةِ نظَرا فَوَجَدا ذلكَ الرَّجُلَ الصَّالح الطِّيِّب القلب ، الرَّحيم العالم ، الذى وَعَدَ اللّه موسَى بِلِقائِه .

« قال له موسى : هل أَتَّبِعُكَ على أنْ تُعَلِّمَنى مما عُلِّمْتَ رُشْدا ؟ »

« قال : إنَّك لنْ تستَطيعَ معِىَ صَبْرا ، وكيف تَصْبِرُ على ما لَمْ تُحِطْ به خُبْرا ؟ » .

« قال : ستجِدُنى إن شاءَ اللّه صابِرًا ولا أعصى لكَ أمرا » .

قال الرجُلُ الصالِح : إذا كُنتَ ستَتّبِعُنى فلا تَسأَلْنِى عَن أىِّ شىءٍ ترانى أعْمَلُه إلاّ إذا حَدَّثْتُك أنا عنه .

٢

سارَ الرَّجل الصالِح وموسَى معه ، حتى وصَلا إلى مكانٍ تَرْسُو فيه المراكِب ، فَرَكِبَ فى سفِينةٍ منها ، ورَكِبَ موسى معه .

وبينما السَّفينةُ فى وسَطِ الماء ، إذْ نَظَرَ موسى ، فَوَجَدَ الرجلَ الصَّالِحَ قد أخَذَ مِسمارًا ومِطْرَقة ، وأخَذَ يَخرِقُ السفينة ، حتى أَحدَثَ فيها ثُقْبا .

فَزِعَ موسَى وخافَ على المركب أن تَغرق ، وتوجَّهَ إلى الرجلِ يسألُه فى حَيرة : « قال : أخرَقْتَها لِتُغرِقَ أهلَها ؟ » لقد فَعَلْتَ فعلا رَدِيئًا فظيعا !

لم يَغضَبِ الرجلُ ولم يَكشر ، ولكنّه قال :

« ألم أقلْ : إنّكَ لنْ تَستَطيعَ مَعِىَ صبرا ؟ »

عندَ ذلك تَذَكَّر موسَى أنَّ الرجلَ شَرَطَ عليه ألاَّ يتكلّم عن شىءٍ مما يراهُ أو يَسْمَعُه مما يعمَله الرجل ، إلا إذا حدَّثَه هو عنه . فَخَجِلَ واستَحيا .

« قال : لا تُؤَاخِذنى بما نَسيت » .

ووعَدَه مرةً أُخرَى أن يسكُتَ ، فلا يَتَكَلَّمَ ولا يسألَ أبَدا .

ونَزَلا من السَّفينَة ، وتركاها تَسير ، وسارا فى طريقِهما .

وبينَما هما يسيرانِ إذْ وجَدَا غُلامًا صغيرًا يلعَب ،

فأَمْسَكَ به الشَّيخُ وقَتَلَه .

رأى موسى هذا الفِعل ، فغَضِبَ غَضَبًا شديدا ، كيف يقتُلُ الرجلُ هذا الطِّفلَ البرىء ، الذى لم يفعَلْ ذنْبا ؟ ونَسِيَ الشَّرط ، ولم يَعُدْ يستَطيعُ السكوت ، فصرخَ فى الرجل :

« قال : أقَتَلْتَ نَفْسًا زكِيَّةً بغَيرِ نفس ؟ لقدْ جئْتَ شَيئًا نُكْرا » . أى لقد عمِلتَ ذنبا عظيما ، حينَ قَتلْتَ هذه النّفسَ الطاهِرةَ التى لم تَقتُلْ أحدا .

فلم يغضَب الرجل ، ولم يكشِّرْ ، ولكنه قال :

« ألم أقُلْ لكَ : إنّكَ لنْ تَستَطيعَ معِيَ صَبرا ؟ » .

عند ذلك خجلَ موسى خجلا عظيما ، وعَزَمَ على ألاّ يتكلّمَ بعدَ الآن ، وإذا تكلّمَ فإنَّ الرجلَ يكون معذورا إذا فارَقَه ، ولم يُصاحِبْه ، قال :« إنْ سأَلْتُكَ عن شيء بعدَها فلا تُصاحِبْنى ، قدْ بلَغْتَ من لَدُنّى

عُذْرا » .

وسارا فى طريقهما .

وظلاَّ سائِرَين حتى دَخَلا قَرْية ، ولم يكن معهُما طعامٌ ولا نُقود ، وقد جاعَ موسى وجاعَ الفَتى الذى معه . فتقَدَّمَ الرجلُ ومعه موسى إلى أهلِ القريةِ يَطلُبان طعاما ، ولكن أحدًا لم يُرِدْ أن يُعْطِيَهُما شيئا ، واشتدَّ عليهما الجُوع ، وكلّما سألا واحِدًا من أهلِ هذِه القريةِ قال : نحنُ لا نُعطِى طعامَنا بلا ثَمَن . فاذهَبا فَلَن نُعطِيَكُما .

وبينما هو يسيرانِ فى المدينة إذْ وجَدا جِدارًا مائِلا ، يريدُ أن يَنْهَدِم ، فقَرُبَ الرجلُ من الحائط ، وكوَّمَ الترابَ حولَه ، وجاءَ بالماءِ وعَجَنَه حتى صارَ طِينا . وأخذَ يُرَمِّمُ هذَا الحائِطَ ويُقَوِّيه ، وموسى يُساعِدُه وهو ساكِت ، حتى انتهى من عملِه ،

وأصبَحَ الجدارُ متينًا لا يسقُط .

وعندَما أرادَ الرجُلُ أن ينصَرِفَ قالَ موسَى : الآنَ وقَدْ رَمَّمْتَ هذا الجدارَ فى تلك القرية ، التى لا نجِدُ فيها طعامًا ولا نقودا .. ألا تستطيعُ أن تطلُبَ أجرًا على هذا العمل ! إنّك لو شئتَ لاتّخَذْتَ عليه أجرا .

ونظرَ الرجلُ إليه وهو يبتسم ، « قال : هذا فِراقُ بينى وبينِك ، سَأُنَبِّئُكَ بتأويلِ ما لم تستَطِع عليه صبْرا » أى سأُخبِرُكَ عن سرِّ هذه الأشياء التى لم تتمكّن من الصَّبر عليها .

٣

جلسَ الرجلُ كالمُعلّم ، وجلسَ موسى أمامَه كالتلمِيذ ، وأخَذَ الرجلُ يشرحُ سرَّ هذه الأعمالِ الثلاثةِ العجيبة ، التى قام بها وموسى لا يَعرِفُها .

قال : أتذكُرُ تلكَ السَّفينة التى خَرَقتُها ونحنُ فى وسطِ البحر ؟

قال موسى : نعم ، وقد كِدْتَ تُغرِقُنا ، ولا بُدَّ أنها غَرِقَتْ فى الطريق .

قال : هذه السفينة يَملِكُها جماعةٌ من المساكين ، يعمَلونَ فى البحر ، ويرتَزِقُونَ منها ، وكان فى طريقِهم مَلِكٌ ظالِمٌ يأخذُ كل سفينةٍ صالِحةٍ غَصْبا ، وقد أعلَمَنِى ربِّى أنَّ هؤلاءِ المساكين سيظَلُّونَ سائِرينَ حتى يصِلُوا إلى أرضِ ذلكَ الملك الظالِم ، الذى يأخُ السُّفُنَ السَّليمةَ بالغَصب ، فأردْتُ أن أعيبها بهـ الخَرْقِ الذى خرقْتُهُ حتى إذا رآها المَلكُ الظالم مخرو لم يأخذْها ، وتَركَها لهم لِيَعيشوا منها .

قال موسى : معكَ حقّ . اعذُرنى إنّنى لم أكـ أعرِفُ ما تعرِفُه أنت ، مما علّمَك ربُّك ، ولكن هـ

ذنبُ هذا الغلامِ البرىء الذى قتلْتَه ؟

قال الرجل : لقد أعْلَمَنى ربِّى أنَّ والِدَىْ هذا الغُلامِ طَيِّبان ، أمَّا هو فوَلَدٌ شِرِّير ، وإذا كبِرَ كان كافِرا ، وسبَّبَ لوالِدَيه الطَّيِّبَين مصائب كبيرة ، بسببِ كُفرِه وظُلْمِه ؛ وقَدْ أرادَ اللّه أن يموتَ هذا الغلام الشرير ، ليرزُقَ والِدَيه خيرًا منه وأصلَح ، ولهذا قَتَلْتُه كما أرادَ ربِّى .

قال موسى : معَكَ حقّ ، اعذُرنى فإنّنى لم أكُن أعرفُ مما تعرِفُه أنت ، مما عَلّمَك رَبُّكَ .. ولكن لماذا ترَكْتَنا بالجُوعِ ولم تأخُذْ أجرًا على الجدار الذى أقَمْتَه ورَمَّمْتَه ، فى تلك البلْدَة البخيلة ، التى لم تُطعِمنا ونحنُ جِياع ؟

قال الرجل : « أمَّا الجِدارُ فكان لغُلامَينِ يتيمَينِ فى المدينة ، وكانَ تحته كنز لهما ، وكان أبوهُما صالِحا ،

فأرادَ ربُّكَ أن يبلُغَا أشُدَّهُما ، ويستَخْرِجا كنزَهُمـا »
ولو أنّنى تركتُ الجِدار يتهدّم ، لَظَهَرَ هذا الكنزُ تحتَه،
ونَهبَه أهلُ القَرية من الغلامَين الصغـيرين ، اللّذين لا
يقدِران على حماية مالِهِمـا ، أمّـا الآن فَسَيبقَى الكَنزُ
تحتَ الحائِط حتى إذا كـبر الغلامـان ، وصـارا شـابَّين
قويَّين ، فإنّما سيُخرِجانِ الكَنز ، وينتفعان به .

وهكذا أرادَ اللّه ، وما فَعَلتُ شيئا مما فعلته إلا بأمرِ
اللّه . وهذا تفسيرُ تلكَ الأعمـال التى لم تسـتطِع أن
تصبِر عليها يا موسى .

٤

رفعَ موسى وجهَه إلى السَّماءِ ، لِيشـكُرَ اللّـه علـى
نِعمَتِه ، بلقاءِ هذا الرجل الصالح الـذى علّمَـه أشـياءَ

كثيرةً لم يكنْ يعلَمُها : علَّمَه كيفَ يصبِرُ ولا يغضَب ، ولا يلومُ النّاس على الأشياءِ التى لا يعرِفُ سِرَّها ، بل يسألُ أوّلا ليعْرف لماذا صنَعُوها ، فقد يكونُ لهم عُذرٌ فيها ، وربَّما كانت نيَّتهم حَسَنةً ولا يَقصِدونَ بها شرًّا .

وعَلّمَه أنَّ الإنسانَ لا يجُوزُ أن يغْتَرَّ بنفسِه ، فيَظُنَّ أنّه يعرِفُ كلَّ شىء ، وأنّه لا يُوجَدُ مَن هو أعْلَمُ منه ، ومن يعرِفُ أكثَرَ مما يعرِف ، وأنّه يجبُ عليه أن يسألَ ليتعَلّم ، لأنَّ هناكَ مَن هو أعْلَمُ منه .

وعَلَّمَه أنَّ الإنسانَ لا يعرِفُ أشياء كثيرة ، وأن اللّه وحْدَه هو الذى يعلمُ جميعَ الأشياءِ وجميعَ الأخبار ، وأنَّ اللّه يصنَعُ للناسِ أشياءَ كثيرة تُفِيدُهم ، ولكنهم هم قد يَجهَلُونَ لماذا يصنَعُها اللّه لهم ، لأنهم لا يعلَمونَ سِرَّ هذه الأشياء . وقد يظُنُّونَ أنّها أعمالٌ

ضارَّة ، ولكنَّها فى الحقيقة تكونُ نافِعَة : كَخَرْقِ السَّفينةِ وقَتْلِ الغُلامِ الشِّرِّير .

وعَلَّمَه أنَّ الإنسانَ يجبُ أن يعمَلَ الخَيرَ حتَّى من غيرِ أجرٍ عليه ؛ لأنَّ هذا الخَيرَ يُفيدُ بَعضًا آخَرَ من الناسِ الطَّيبين ، كما صنَعَ الرجلُ الصالِحُ فى تَرميم الجِدارِ الذى كان يُريدُ أن ينقَضّ .

... ثم نظرَ موسى إلى جانِبه ، فلمْ يَجِدْ للرَّجلِ الصالِحِ أثرا ، أينَ ذهبَ ؟ كيف اختَفى ؟ عِلْمُ ذلك عندَ الله ، ولا يعلَمُ أحَدٌ إلا الله .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

داود عليه السلام

١٤

عبد الحميد جودة السحار

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

داود

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

تاه بنو إسرائيلَ أربعينَ عامًا فى الصَّحْراءِ جزاءَ مخالفتِهم لأمرِ اللّه ، وعدَمِ دخُولِهِم الأرضَ المقدَّسَةَ ومعهم نبيُّهُم موسى . وقد ماتَ موسى عليه السَّلام. وجاءَ بعدَه نبىٌّ آخَرُ من بنى إسرائيلَ . وكانوا قد تأدَّبوا بالعِقابِ الَّذى عاقبهم اللّه به فى الصَّحْراء ، فأطاعوا النبىَّ الجديد ، ودخلوا أرض فِلَسطين ، وهزموا سُكَّانَها الذين كانوا كُفَّارا فى هذا الوقتِ وامتلكوها .

ولكن فيما بعدُ وقعتْ بينَهم وبينَ أهلِ فِلَسْطينَ حروبٌ أُخرى ، فهزمَهُم أهلُ فِلَسْطين ، وأذلوهم ، وأخرجوهم من ديارِهم ، وقَتَلوا رجالَهم ، وأخذُوا أولادَهم ، واستولَوْا على التّابُوت ؛ والتابوت

صُندوقٌ وضَعَ به بَنُو إسرائيلَ الألواح ، وعصا موسَى ، وشيئًا من المَنّ الذى نزَل عليهمْ فى طور سِينا ، وبعضَ أشياء خاصة بِهارون . وقد هُزِم بنو إسرائيل لأنهم عادوا إلى عصيان الله ، فسلط عليهم أهل فلسطين الأشداء ، وعادوا مشرَّدين أذلاء .

اجتمع أكابرُ بنى إسرائيلَ وفكروا فى حالِهم ، فساءَهُم الذلُّ الّذى هُمْ فيه ، فرأوْا أنْ يذهبوا إلى نبيِّهم ، الذى أرسلهُ اللّه إليهم فى ذلك الزمان ، يدعوهُم إلى العملِ الصالح ؛ فلما قابلوه قالوا له :

ـ أذلّنا أعداؤُنا ، واستوْلَوا على التّابوت ، وهزمونا ، وشتّتونا ، وقَتَلوا الرِّجال وأخذوا الأولاد ، فجئنا إليك نشاورُكَ فى هذا الأمر .

فقال لهم نبيهم :

ـ وماذا تريدون ؟

- نريدُ أن تدعوَ ربَّكَ ليجعلَ علينا مِلِكًا يحكُمنا ، ويجمعُنا حولَه ككلِّ شعوب الأرض ، ويقودُنا لِنقاتِلَ في سبيل اللّه .

قال لهم نبيُّهم :

« هل عَسَيْتُم إنْ كُتِبَ عليكُم القتالُ ألا تُقاتِلوا» ؟

« قالوا : وما لَنا ألاّ نُقاتِلَ في سبيل اللّه ، وقد أُخْرِجْنا من ديارِنا وأبنائنا ؟ ».

٢

ذهب النبيُّ يُصلّي لله ويدعوه أنْ يجيب رغبةَ قومِه ، وبينما هو يصلّي أوْحَى اللّه إليه أَنه سيجعلُ طالوتَ ملِكا عليهم ، فخرجَ النبيُّ إلى بني إسرائيلَ وقال لهم :

- إنَّ اللّه استجابَ لدعائِنا ، وسيبعث لنا مِلِكا .

فقالوا فى لهفة :

ـ من هو ؟

قال لهم نبيهم :

ـ طالوت .

وكان طالوتُ رجلا فقيرا ، فقال بعضهم :

« أنّى يكونُ له المُلْكُ ونحنُ أحقُّ بالمُلكِ منْه ، ولمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المال ؟ » قال نبيُّهم :

« إنَّ اللّه اصطفاهُ عليكُم ، وزادَهُ بَسْطَةً فى الْعِلمِ والْجسم ، واللّه يُعْطِي مُلكَه مَنْ يَشاء ، واللّه واسِعٌ عليم » .

وقال قائل منهم :

ـ وما أدرانا أنَّ اللّه اختارَ طالوتَ ليكون ملكا لنا ؟

فقال لهم نبيُّهم :

« إن آيةَ مُلكِهِ أن يأتِيكم التّابوت ، فيه سكينةٌ من ربّكم ، وبَقِيةٌ مما ترك آلُ موسَى وآلُ هارون ، تحمِلُهُ الملائكة ، إنَّ فى ذلك لآيةً إن كنتم مؤمنين » .

واجتمع الناس حولَ نبيهم ينتظرون آيةَ اللّه ، وإذا بهم يجدون التابوتَ أمامَهم بكلِّ ما فيه ففرِحوا وولّوْا طالوتَ مِلكا عليهم .

٣

طلب طالوتُ من بنى إسرائيلَ أنْ يَستعدُّوا لقتالِ أعدائِهم ؛ فخرج فِيمَنْ خرجَ مع طالوتَ داودُ وإخوتُه وأبوه ، وكان داودُ أصغر إخوته ، خرج معهم ليقدم لهم الطعامَ والماءَ فى أثناء القتال .

وقبل أن يتحرك الجيش ، قال طالوتُ لجنوده : «إنَّ اللّه مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَر (يعنى سيمتحنكم بنهر) ،

فَمَنْ شَرِبَ منه ، فليسَ مِنّى ، ومنْ لم يَطْعَمْهُ فإنّه مِنّي ، إلا مَنِ اغْتَرفَ غُرْفَةً بيدِه » .؟

قال طالوتُ لهم ذلك لِيعرفَ إن كانوا سيطيعون أوامِرَه أم يعصونَها لأنّه لا فائدةَ فى جُندِىٍّ لا يطيع أوامرَ قائِده .

وسارَ جيشُ طالوت ، حتى إذا وصَلوا إلى النّهْر ، شرِب بنو إسرائيلَ منَ النهرْ ، وعَصَوْا أمرَ طالوت ، إلا قليلا منْهم ؛ فأمر طالوتُ مَن عَصَوْه وشَرِبوا من النّهرِ أنْ يرجِعوا لأنه لا خيرَ فيهم ، إذْ أنهم لا يُطيعون الأوامر .

وعبرَ طالوتُ والذين معه النهر وأصبحوا أمامَ جيشِ جالوتَ حاكم الفلسطينين ، فلما رأَوا جيشَ جالوتَ الضّخْمَ خافوا ، وقالوا :

« لا طاقةَ لنا اليومَ بجالوتَ وجنودِه » إنَّ إخوانَنا

قد تركونا . وأَصبحَ جيشُ جالوتَ أكبرَ من جيشنا .

فقال المؤمنون ، الذين يظنون أنهم مُلاقون اللّه :

« كَمْ مِنْ فِئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كثيرةً بإِذنِ اللّه ، وَاللّه معَ الصَّابِرين » .

وخرج جنودُ طالوتَ للقاء جنودِ جالوت ، واستعدُّوا للقتال ، وقالوا يدْعُونَ اللّه :

« رَبَّنا أَفرِغْ علَيْنا صَبْرًا ، وثَبِّتْ أَقْدامَنا وانْصُرْنا على الْقَوْمِ الكافرين » .

٤

كانت الحرب في ذلك الوقتِ تَبْدَأُ بيْنَ رجُل ورجُل ، ثم تدورُ بيْن الجيشَيْن ، فخرجَ رجالٌ يَقْتَتِلُون ، ثم خرجَ جالوت وقال :

ـ يا طالوتُ ، لِمَ يُقتَلُ قَوْمي وقوْمُك ؟ اخرُجْ

لِقتالى أو أَخْرِجْ لِى مَنْ شِئت ، فإن قتلتُكَ كانَ المُلْكُ لى ، وإنْ قتلتنى كان لك .

وصاح طالوت فى جنوده :

ـ من يخرج لقتال جالوت ؟

فلم يخرجْ أحد ، لأنَّ جالوتَ كان قويًا ، وما كانَ أحدٌ يستطيعُ أن يَغلِبَه . وبَقِيَ بنو إسرائيل خائفين مِنْ جالوت ، وجالوتُ واقفٌ فى كِبْرياء ، يرتَدى ملابس الحرب .

قال جالوت : هل من أحد يريدُ أن يقاتِلَنى ؟

ورأى داودُ خوفَ بنى إسرائيل ، فخرجَ مِنَ الصفوف وقال :

ـ أَنا أُقاتلك .

فنظرَ جالوتُ الْفَخْمُ الضَّخْمُ إلى داودَ الصغير ، وقال له :

- ارجع يا فتى فإنى لا أريدُ أن أَقْتُلَك .

فقال له داود :

- لا ، بل أنا أَقْتُلُك .

وكان داود يجيدُ استعمالَ الْقَذّافَة (المِقْلاع) ، فوضع فيها حجرا وأرسله ، فجاء الحجر بين عيْنَىْ جالوت ، فسقط على الأرض ، فأسرعَ داودُ إليه وقطعَ رأسه .

فلما رأى جيشُ جالوتَ قتلَ مَلِكِهم ، خافوا وفرّوا مغلوبين . وانتصرَ بنو إسرائيل على أعدائهم بفضل داود .

٥

كان داودُ جميلَ الصَّوْت ، فكان يُسبّح الله بصوتِه الجميل ، فَتَخْشَعُ قلوبُ الناس ؛ وكان كثيرَ العبادة ،

كثيرَ الصَّوْمِ وَالصَّلاة ، فأحبَّه اللّه ، وآتاهُ المُلْكَ على بني إسرائيل ، وعلَّمه أشياءَ كثيرة ، وقال له :

« يا داود إنَّا جعلْناكَ خليفةً في الأرض ، فاحكمْ بيْنَ الناس بالحَقِّ ، ولا تَتَّبعِ الْهَوَى ، فيُضِلَّكَ عنْ سبيل اللّه ، إنَّ الّذين يَضِلُّون عن سبيلِ اللّه هُمْ عذابٌ شديد ، بما نَسُوا يَومَ الحساب » .

ولم يكنْ داودُ يُمْضي كل وقْته في الصلاةِ والصَّوْم ، بل كان يعملُ بيدِهِ ليأكل ، على الرَّغمِ منْ أنه مَلِك ، لأنه كان يعرفُ أَن أفضلَ الكَسْب ما يكسِبُه الإنسانُ مِن صُنْع يديْه .

وقدْ آلانَ اللّه له الحديد ، فكانَ يَصْنَعُ مِنهُ ما يشاءُ من دُروعِ الحرْبِ وغيرها ، وعلَّم النَاسَ صُنْعَ الدُّروع من الحديدِ لِيَلْبَسُوها في أثناءِ الحرب .

٦

تزوج داود زوجاتٍ كثيرات ، فكان له تِسعٌ وتسعون امرأة ، وفي يومٍ من الأيامِ وقف فى شُرفة قصره ، فرأى امرأةً جميلة ، فأحبَّ أَنْ يَتزوَّجَها لُيكمل أزواجَه مائة ، ولكنَّها كانتْ مُتَزَوِّجَة ، فماذا يعمل ؟

دخل داود إلى محرابه يُصَلِّى لله ، وهنا جاء رجلان وطلبا مقابلته ، فقال لهما الحراس : إنَّه لا يستطيع أن يقابلكما اليوم ، لأنَّ اليومَ يوم عبادته ؛ فذهبا إلى سُورِ المحرابِ وتَسَلَّقاه ، ودَخلا على داودَ وهو يُصَلِّى ؛ فما شعر إلا وهما جالسان بين يديه . فخاف منهما ؛ فقالا له : لا تَخَفْ ، إنما نحنُ خَصمان بَغَى بعضُنا على بعض ، فاحكمْ بيننا بالحقّ .

قال لهما :

ـ قُصَّا عليَّ قِصَّتكما .

قال أولهما :

ـ إنَّ هذا أخي ، لـه تسعٌ وتسعون نعجة ، وَلِي نعجة واحدة ، فهو يريد أن يأخذ نعجتي فيُكملَ بها نعاجَه مائة .

قالَ داود :

ـ لقد ظلمَكَ بسؤالِ نعْجَتِك إلى نعاجه .

وهنا اختفى الرجلان فجأة ، فعرفَ داودُ أنهما ملَكانِ أرسلهما الله ليُفهِماه خطأه . فخرَّ راكعًا لله ، وراح يَبكي ، واستمر في بكائه ودعائه واستغفاره حتى أوحى الله إليه :

ـ يا داود ، ارفع رأسك ، فقد غفرت لك ، ووهبت لك ابنا يكون اسمه سليمان ، وسيكون مثلَك صاحبَ عقلٍ حكيم .

٧

رزَق اللّه داودَ بابنِه سليمان ، ففرِحَ بـه ، واعْتنَى بتربيتِه وتعليمه ، حتى كبِرَ وشبَّ .

وصار سليمانُ يجلس مع أبيه وهو يحكُم بين النـاس بالعدل والحق .

وفى ذات يـومٍ جلـسَ داودُ ومعـهُ سـليمانُ فجـاءَ رجلان يَختَصِمان .

قال أحدُهما :

ـ إن غنمَ هذا الرَّجُلِ دخلتْ حَقْلى ، وأكلـتْ مـا فيه من الزَّرعِ .

وسأل داودُ صاحبَ الغنم :

ـ هل فعَلتْ غنمُك هذا ؟

قال :

ـ نعم . أيُّها الملِكُ العادلُ .

قال داود :

ـ يأخذُ صاحبُ الحقلِ هـذِهِ الغنـم ، مقـابِلَ زَرعِـه الّذى فسَد .

عند ذلك قال سليمان :

ـ عندى فِكرةٌ أخرى يا نبيَّ اللّه .

قال داود :

ـ قلْ .

قال سليمان :

ـ صاحبُ الغنمِ يأخذ الحقلَ ليُصْلِحَـه ، وصـاحبُ الحقلِ يأخذُ الغنـمَ لينتفِـعَ بلبنهـا ونِتاجهـا . حتـى إذا عادَ الحقلُ كما كان . أخـذَ صـاحبُ الحقـل حَقْلـه ، وأخذَ صاحبُ الغنمِ غنمَه .

قال داود :

ـ الآن يجب أن تتولّى أنت الْحُكم ، فقد أصبحت أنا شيخا كبيرا ضعيفا . أما أنت فصرتَ رجلا قويا حكيما .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

سليمان وبلقيس

عبد الحميد جودة السحار

١٥

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

سليمان وبلقيس

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

جَلَسَ سُليمانُ على العَرشِ يَحْكُمُ بعدَ أبيهِ داود ، وكان رجُلاً رحِيمًا عادِلاً فى أَحْكامِه .

لِذلِكَ قالَ اللّه له : سأُعطيكَ كل ما تطلُب ، فاطلب ما تريد .

قال : ربِّ اغفِرْ لى ، وهَبْ لى مُلْكًا لا يَنْبَغِى لأحَدٍ مِن بَعْدِى ، إنّكَ أَنتَ الوَهّاب .

فَسَخّرَ اللّه لَهُ الرِّيحَ تطاوِعُه ، وتَجْرى حَسَبَ رَغْبَتِه . وسَخّرَ لهُ الشّياطينَ يُطِيعُونه ويُنَفِّذونَ أَوامِرَه ، ويَصْنَعونَ له كلَّ ما يَطلُب .

وعَلّمَهُ لُغَةَ الطّيْرِ والحَيوان ؛ فصارَ يَفْهَمُ ما تريد ، ويعرِفُ كيفَ يتفاهَمُ بعضُها معَ بَعض .

فَشَكَرَ سُلَيْمانُ ربَّه ، وزادَ فى العِبادَةِ لِيُديمَ اللّٰه عليه هذه النِّعَمَ العظيمة .

٢

وفى يوم خرجَ سُليمانُ فى جيشهِ العظيم ، والطَّيرُ سائِرةٌ معه تُظِلُّه بأجْنِحَتِها مِنَ الشمس .

« حتّى إذا أَتَوْا علَى وادِى النّمل ، قالَتْ نَمْلةٌ يا أَيُّها النّملُ ادخُلُوا مساكِنَكُم ، لا يَحْطِمَنَّكُم سليمانُ وجُنُودُهُ وهم لا يشعرون » .

فتبسَّمَ ضاحِكًا من قَولِها ، وقال : « ربِّ أَوْزِعْنى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التى أَنْعَمْتَ علَىَّ وعَلى والِدَىَّ ، وأَنْ أَعْمَلَ صالِحًا تَرْضاه ، وأَدْخِلْنى برحمَتِكَ فى عِبادِكَ الصَّالِحين » .

ثمَّ وقَفَ سُليمانُ يَسْتَعْرِضُ الجَيش . ونَظَرَ إلى ناحيةِ

الطَّيرِ فلمْ يَجد الهُدْهُدَ من بين الطُّيور ، فقال :

« ما لِيَ لا أَرَى الهدهد ؟ أَمْ كانَ مِنَ الغائِبين ؟ »

وكانَ الهُدهُد قد ذَهَبَ وتركَ مكانَه دونَ أَن يستأْذِنَ منه ، فغَضِبَ سُليمانُ وقال :

« لأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا شديدًا ، أَو لأَذْبَحَنَّهُ ، أَو ليأْتِيَنِّي بسلْطانٍ مُبين (يعني بحُجَّةٍ تُنجيهِ مِن هذه الوَرطة) .

وغابَ الهدهدُ غَيْبَةً طويلَة ، ثم عاد ، وقبْلَ أنْ يسأَلَه سليمانُ عن سببِ غَيْبَتِه ، أَسرَعَ يقول لِيُبَرِّئَ نفْسَه :

ـ اطَّلَعْتُ على ما لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيه ، وجئْتُكَ مِنْ مَملَكَةِ سَبَإٍ بخَبَرٍ صادق .

فلمْ يُجبْهُ سليمانُ لأَنَّه كان غضبان ، فاستمرَّ الهدهدُ يقول :

ـ إنِّي وَجَدْتُ امرأَةً تحكمهم ، وهي ملكة غنيَّة عندَها من كلِّ شيء ، ولها عَرْشٌ عظيم .

وجَدْتُها وقومَها يسجُدونَ للشـمسِ مِن دُونِ اللّـه ، ويعبدونَها ولا يعبُدونَ اللّه .

قال سليمان :

ـ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كنتَ من الكاذِبين .

وجَلَسَ سُلَيمانُ يكتُبُ رسالَة ، والهدهدُ واقِفٌ أَمامَه يرتعش . ولا يعرِفُ ما هذا الـذى يكتبه المَلِك ، حتى إذا انتهى سليمان قال للهدهد :

ـ اذهبْ بكتابى هذا إلَى سَبأ ، وأَلْقِهِ إلى بَلْقيس ، وانْظُرْ ماذا تفعَلُ ويفْعَلُ رِجالُها بعد قِراءَةِ هذا الكتاب ، وعُد إلَيَّ سريعا .

فأَخَذَ الهدهدُ كتابَ سلَيمانُ فى مِنقارِه وطار .

٣

كانت بَلْقيسُ نائِمةً فى سَريرِها فى غُرفَةِ نومِها ، وجاءَ الهدهدُ ودخلَ إلى الغُرفةِ من نافذةٍ كانت

مفتوحة ، وألقى الكتابَ عليها فسقَطَ على صدْرِها ، وأَخَذَتِ الكتابَ وهى تَعْجَب ، فما كان أَحَدٌ يستطِيعُ أنْ يَدخُلَ غُرْفَةَ نومها ، لأنَّ الحَرَسَ واقفونَ أَمامَها يحرسُونَها .

أَخَذَتِ الكتابَ وقلّبَتْهُ في يدِها ، وفَتَحَتْه وقَرَأَتْهُ ثمَّ جَمَعَتْ أُمَراءَها ووزراءَها وأَكابِرَ دولَتِها وقالت لهم :

ـ يا أيُّها الأُمراءُ والوُزراءُ وأَكابِرَ دَولَتى ، إنّهُ أُلْقِيَ إلَيَّ كتابٌ كريم ، إنّهُ من سليمانَ وقد بدأَهُ بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم ، وقدْ طَلَبَ مِنّا فيه أَنْ نَتْرُكَ عِبادَةَ الشّمس ، وأَن نعبُدَ اللّه الذى يعبده .

وسَكَتَتْ قَليلا ، ثم قالَتْ لهم :

ـ أيُّها الناس ، قولوا لِى ماذا نفعل ، إنّنى لَنْ أَفْعَلَ شيئًا إلاّ برأْيكم .

فقالُوا لها :

ـ إنّنا أَقْوِياءُ وعندَنا الجيوشُ العظيمة ، ونستطيع أن نُحارِبَه لو جاءَ لِحَرْبِنا ، ومعَ هذا فإنّنا نترُكُ الأَمرَ لك .

فقالت لهم بَلقيس :

ـ هذا ليسَ بالرّأى ، لأَنّ الحَرْبَ تُفْسِدُ كلّ شىء ، والمُلوك إذا غَزَوْا دولةً ودَخَلُوها أفْسَدُوها وجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلّة ، فإذا جاءَ هذا المَلِكُ وحارَبَنا ، وانتصَرَ علَينا ، هَدَّمَ بيُوتَنا ، وقَتّلَ رِجالَنا ، فنُصْبِحُ ضِعافًا لا نملِكُ شيئا .

فقالوا لها :

ـ فماذا تَرَيْن أَنْ نفعَل ؟

فقالت بلقيس :

ـ سأُرْسِلُ إلَيْهِ هَدِيّة ، وأَنْتَظِرُ ما يُخْبِرُنى به الرِّجالُ الذينَ سأُرسِلهم إليه .

وأَرْسَلَتْ إِلَى رجُلٍ من كِبارِ رجالِها وقالت له :

ـ سأُرسِلُكَ إلَـى سُـليمانَ بهدايـا ، فـانْظُرْ مـا يَفْعَلُـه واعرفْ لى قُوَّته ، وعدْ إلَيَّ وأَخبِرنى بكل شيءٍ عرفته عنه .

وخـرجَ رسـولُ بَلْقيـس إلى سـليمانَ يحمـلُ الهَدايـا ، وخرج معـه رجالٌ كثـيرون ، وطـارَ الهدهـدُ ، رسـول سليمان ، ليقُصَّ عليه كلَّ ما جرَى فى قصرِ بلقيس .

٤

قال الهدهدُ لسليمان : إنَّ بلقيس أَرسلت لك هدايـا كثيرة .

فأَراد سليمانُ أَن يعرِضَ أَمامَ رسـولِ بلقيـسَ عظَمـةَ ملكِـه ، فـأَمَرَ الجِـنَّ والإِنـسَ أَنْ يُجَهِّـزوا مكـانَ الاستِقْبال ، فجاءُوا بكـلِّ الأَشياءِ الجميلـة وزَيَّنـوا بهـا المكان .

وجَلَسَ سليمانُ على كُرسيِّه ، وأَحاطَ به خلقٌ كثير ، وظَلَّلَتْهُ الطُّيور . وجاءَ رسولُ بلْقيس ، فلمَّا رأَى مكانَ الاستقبال لم يصدِّق عينَيه ، لأَنَّه لم يرَ فى حياتِه مثلَ هذه العَظَمة أَبدا ، ولم يَرَ الطُّيورَ تُظَلِّلُ إنساناً من قبل . وشعَرَ بأَنَّه صغيرٌ أمامَ سليمان .

فتقدَّمَ وهو مَدْهُوش ، وقَدَّمَ إِلى سليمان الهدية ، فرفض سليمان أن يقبَلَها منه ، لأَنَّه لا يُريدُ هداياهُم ، ولكنَّه يُريدُ أَن يترُكُوا عبادةَ الشمس ، وأَن يعبُدُوا اللّه ربَّهم الذى خلَقَهم ، وأَعطاهم كل ما هم فيه من خير .

قال سليمان :

ـ أَتُعْطُونَنِى مالا ؟! إنَّ اللّه أَعْطانى كلَّ شىء وأَنا فى غِنًى عن أَموالِكم ، إنَّكُم تفْرَحونَ بهدِيَّتِكم ولكنَّنى لا أَفْرَحُ إلا إِذا اهتَدَيْتُمْ إلى اللّه ، وترَكْتُم عبادَةَ الشمس . ارجِعْ إِلى مَن أَرسَلُوك ، وقُلْ لهم إِنِّى قادِمٌ

إِليهم فى جيشٍ عظيم لا يقدرون عليـه ، وسـأُخرِجُهُم من بلادِهم ، وسَأَجْعَلُهُم أَذِلَّةً بعدَ عِزّ .

٥

عادَ رسولُ بَلقيـس إِلى بِـلادِه ، ودخـلَ علـى المَلكـة فقالت له :

ـ ماذا فعَلْت ؟

فقال لها :

ـ ردَّ سليمانُ هَداياكِ ولم يَقْبَلْها .

فقالت وهى تتعَجَّب :

ـ ردَّ هَدَايانا العَظيمة ؟

فقال الرسول :

ـ إنَّ هَدايانا لا تُسـاوى شيئا فـى مُلْكِـه ، إنَّ الجـنَّ يسْمَعُونَ أَوامِرَه ، والطيورَ تظلِّله من الشمس ، والرِّيحَ

تسيرُ بـأَمْرِه ؛ مَلِكٌ لم أرَ مثْلَه فى الملوك ، ولم أَسْمَعْ بمثله .

فقالت له بلقيس :

ـ ماذا قال لك ؟

فقال الرسول :

ـ قال إِنّه سيأتى بجيشٍ عظيمٍ ليُحارِبَنا ، إذا لم نترُكْ عبادةَ الشمس ، ونعبُدِ اللّه الذى يعبُدُه .

فقالت له بلقيس :

ـ فماذا ترى ؟

قال لها :

ـ أَرى أنّنا لا نستطيعُ أن نحارِبَ هذا الملك ، إِنّنا إذا حاربناه انهزمنا ، وخسرنا كل ما نملك .

فسكتت بلقيسُ قليلا ، ثم قالت :

ـ سأَذهَبُ أَنا لأُقابِلَه .

٦

استعدَّتْ بَلْقيسُ للذّهاب لمقابلة سليمان ، وقبل أن تترك مملكتها فكّرت فى أن تضعَ عَرشَها فى مكانٍ أَمين ، لأَنها كانت تخافُ عليه ، فهوَ عرشٌ عظيم يطمعُ الناسُ فيه ، فوضَعَتْه فى غُرفَة ، وأَغْلَقَتْ عليه الأَبواب ، ووقفَ على الأَبوابِ الحُرَّاسُ يَحْرُسونَ العَرشَ النّادِر .

ولما انتهتْ بَلقيسُ من حِفْظِ عَرشِها ، خرجَتْ وحَولَها الأُمراءُ والوزراءُ ورجالُ الدَّولة ، وسافرتْ حتّى اقتربتْ من مملكة سليمان ، فسمع سليمان ضوضاءَ الخيل والرِّجال ، وعرفَ أَنّها بلقيسُ ومَنْ معها .

ففكّر فى أَنْ يفعَلَ شيئًا عظيمًا ، لتعرِفَ أنّه أَعْظَم

مَلِكٍ في الأَرض . وكان الهدهدُ قد وصَفَ له عرشَها وقال : إنّه أَعظَمُ شَيءٍ فى مملكتها . ففكّرَ سليمانُ فى أن يُحضِرَ لها فى هذه اللحظة عرشَها الذى أَغْلَقَتْ دونَه الأبواب ، ليكونَ ذلكَ دليلاً على قدرةِ اللّه الّذى يعبُده . فَجَمَعَ سَليمانُ الجنَّ والإنسَ وقال لهم :

ـ مَن منكُم يستطيع أَن يُحضِرَ لى عَرشَ بلقيسَ من مملكتِها ، قبل أَن تصِلَ بلقيس إلى هنا ؟

قال عِفْريتٌ من الجنِّ :

« أَنا آتيكَ به قبلَ أَنْ تقومَ مِن مَقامِك ، وإِنّى عليهِ لَقَوىٌّ أَمين » . ولَنْ يَضيعَ شىءٌ من جواهِرِه فى الطّريق .

وقال رجلٌ قوىُّ الإيمان باللّه :

« أَنا آتِيكَ بهِ قبلَ أن يرْتَدَّ إِلَيكَ طرفُك » (يعنى قبل أن تُغْمِضَ عينيك وتفتحهما) .

فأَمَره سليمانُ أَن يُحضِرَه ، فقال له الرجل العالِم :

ـ انظر يا نَبِيَّ اللّه إِلى جِهةِ اليمين .

فنظَرَ سليمان .

فقال له الرجل العالِم :

ـ انظر يا نبيَّ اللّه أمامَك .

فنظَرَ سليمانُ فرأَى أَمامَه عَرشَ بَلْقيس ، العرش الذى أَحضَرَهُ الرَّجل المُتَّصِلُ باللّه من بِلادٍ بعيدةٍ جدًّا في غَمضَةِ عَين . لقدِ استطاعَ الرَّجُل أن يُحضِرَ عَرشَ بلقيس من بلادِها إلى بلاد سليمان في لحظة ، بينما بلقيس قطعتْ هذه المَسافة في أَسابيع وأَيام .

نظر سليمان إلى العرش فرآه مصنوعًا من الذهب ومُطَعَّمًا بالياقوتِ الأحمر ، ووجدَ أَنَّهُ عرش جميل . وتذكَّر أَنَّ اللّه أَكْرَمَه لأَنَّهُ جعلَ في إمكانِ أَحدِ رجالِه أَن يُحضِرَ العرشَ العظيمَ من بلادٍ بعيدة ، في لَمحةِ

عَين . فخفَضَ رأْسَه فى تَواضُع وقال :

« هذا من فَضْلِ ربِّى ليبلُوَنى أأَشْكُرُ أَم أَكْفُر ، ومَن شكَرَ فإِنّما يشكُرُ لِنَفْسِه ، ومَن كفرَ فإِنَّ ربِّى غَنِىٌّ كريم » .

وأَرادَ سليمانُ أَن يختبرَ بلقيس ، فقال لمن كان عنده :

غَيِّروا شكلَ هذا العَرشِ لِنَرى إذا كانت تعرِفُه .

فأَخذوا يَزيدون فيه ويَنقُصونَ منه .

وأَمَرَهُم أَن يبنُوا قَصْرًا كبيرًا من البِلَّوْرِ ويضعُوا فيهِ العَرْش ، فَبنوهُ ووضعُوا العَرْشَ فيه ، فكان يظهَرُ كأَنَّهُ وُضِعَ علَى الماء .

وجاءَتْ بلقيسُ وقابلتْ سليمان . وأَخذها نحوَ القَصر ثم أَشارَ إِلى العرش وقال : أَهكذا عرشُك ؟

فأَخذتْ بلقيسُ تنظر إليه وهى فى أَشدِّ العجَب . إنّه مثلُ عرشِها ، ولكنّها ما كانت تُصَدِّقُ أَنَّ أَحَدًا يستطيع أَنْ يُحضِرَ عَرْشَها مِنْ مَمْلَكَتِها . إنّها وضَعَتْهُ فى مكان أَمين ، ووضعتِ الحُرّاسَ على الأَبوابِ لحراستِه ، فمن يستطيعُ أَن يُحضِرَه إلى مملكةِ سُليمان ؟

قالت : كأَنَّهُ هو .

فقال لها سُليمان :

ــ إنَّهُ هوَ عَرشك ، وقد أَحْضَرْتُه من مملَكَتِك السّاعة .

فنظرتْ إلى سليمانَ وهي لا تكادُ تصدِّق ما يقول .

فقال لها :

ــ اذْهَبى إلَيْه وانظُريه .

نظَرتْ إلى الأَرضِ فحَسِبَتْها ماء ، فرفعَتْ ذَيلَ ثوبِها حتى لا يَبتَلَّ من الماء ، فقال لها سليمان :

ـ لا تخافي ! إنّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارير .

فدخلَتْ بلْقيس ، ورأَتِ العرشَ وعرفَتْه فقالت :

ـ هذا عرشي حقا .

وجلستْ بَلقيسُ على العرش ، وقد عرفَتْ أَنَّ سليمان رسولُ اللّه ، وأنّها كانت مخطِئَةً إذ كانت تعبدُ الشَّمس ، وآمنتْ باللّه العظيم الذي يدعُوها إليه سليمان ، فرفعتْ رأْسِها إلى السماءِ وقالت :

ـ ربِّ إنّي ظَلَمْتُ نفسِي بعبادَةِ الشَّمس ، والآن تُبْتُ وأَسْلَمْتُ مع سُلَيمانَ لله ربِّ العالَمين .

٧

كَلَّفَ سليمانُ الجنَّ أَنْ يَبنُوا له مِحرابًا فَخْمًا للصَّلاة ، وكانوا لا يعصُونَ أَوامِرَه لأَنَّهم كانوا يخافون أَن يُعاقِبَهم . وفي ذات يومٍ وقف يرقُبهم وقَدْ توكَّأَ

على عصاه ، وكان المِحرابُ قد قـارَبَ علـى النّهايـة ، وتَعِبَ الجِنُّ من العمل ، وأَرادُوا أَنْ يَسْتَرِيحُوا ، فَنَظَرُوا إِلَى سليمان فوجدوه متّكئًا على عصاه ، فاستمرُّوا فـي عملِهم حتى انتهُوا منه .

وفجأَة سقط سـليمان علـى الأَرض ، فأَسـرَعَ الجـنُّ إِليه فوجدوه ميِّتا . لقد مات سليمان من مُدَّةٍ طويلَـة ، وظلَّ مُتّكِئًا على عَصاهُ وهو ميِّت ؛ وهـم يحسِبونَ أَنّـهُ حي ، ولولا أَن أَكَلَتِ الأَرضَـةُ عصـاهُ مـا دَلَّهـم شـيء على مَوْتِه .

فقال الجنُّ : لـو كنّـا نعلَـمُ الغَيـبَ مـا استَمْرَرْنا فـي العمـل لسـليمان وهـو ميـت ، ومـا لَبِثْنـا فـي العـذابِ المُهين .

القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

عيسى بن مريم

عبد الحميد جودة السحار

١٦

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

عيسى بن مريم

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

رَفَعتِ امْرأَةُ عِمْرانَ وجَهَها إِلى السَّماءِ وكانت حاملا ، وقالت :

ــ يا ربِّ ، لقد نذرت لك ما في بطني ؛ سأَجعلهُ في خدمةِ بيتِ الْمَقْدِس ، يعبدُك النهارَ والليل ، ولا يترك العبادَة أَبدا .

ومرَّت الشهورُ ثم وضعتْ ، فجاءَ المولودُ بنتا . فرفعتْ رأْسَها إلى السماء وقالت :

« ربِّ ، إِنِّي وضَعتُها أُنثى ، والله أَعْلَمُ بما وضَعَتْ ، وليس الذكر كالأُنثى ، وإِني سمَّيْتُها مَرْيم » .

وضمَّت ابنتها إلى صدرِها في حَنان ، ثم نظرت إلى السماء وقالت :

ــ ربِّ ، احفظْها وأَبناءَها مِن الشيطان .

وانتظرتْ حتى استطاعتْ أَنْ تنهض بعد الولادة ، فحملَتْ مريمَ وخرجتْ إلى بيت الْمَقْدِسِ لتُسَلِّمَها إلى العُبَّادِ المقيمين به ، ولتجعلَها خادمةً من خُدام المسجد . لقد نذرتْ ذلك إذا أَعطاها اللّه ولَدا ، وقد وَهَبَها اللّه مريم ، فكانَ عليها أَن تُنفِّذَ نَذْرَها .

٢

كانتْ أُمُّ مريمَ ابنةَ إِمام المتعبِّدينَ ببيت الْمَقْدِس ، وكان نَبيُّ اللّه زَكريّا زوجَ أُختها ، لذلك لما جاءَتْ بمريمَ لتُعطيَها للمتعبِّدين لتعيشَ معهُم فى المعبد ، أَراد زكريَّا أَن يأْخذَها لأَنه زوجُ خالتِها ، وأَرادَ رجالٌ آخرون أن يأخذوها . فقال زكريا أنا أحقُّ بها .

فقال أحدُ الموجودين :

ـ ليسَ أَحدٌ أَحقَّ بها من أَحد ، كلُّنا هنا نخدِم المَعْبَد .

فقال زكريا : بماذا ترضون ؟

قال أحدُهم :

ـ نُلقِي بأَقلامِنا فى النّهْر ، فَمَنْ جَرى قلمُهُ ضَدَّ التّيار فهوَ الغالب .

فذهبوا إلى النهرِ ، وجعلَ كلٌّ منهم على قلمِه علامة ، وألقَوا الأَقلامَ فى الماءِ ، فجرت الأَقلامَ كلُّها مع التيار ، وجرى قلمٌ على خلافِ الأَقلام ، فلما أخرجوه ظهَرَ أنّه قلمُ زكريًّا .

فأخذها زكريا وكَفَلها وتعهَّدَ بتربيتها .

٣

كبرت مريمُ وهى فى رعاية زكريا ، وقد خصَّص لها مكانا فى محراب المعبَد لا يدخُلُه سِواها ، فكانت تعبد اللّه فيه ليلَها ونهارَها .

واشتهرتْ مريمُ بين أهلِها بالصَّلاح والتّقوى، وكانت أَعْبَدَ أَهلِ زمانها، فكان الملائكةُ يزورونها في مكان عبادتها، ويُعطونها فاكهةً لم يُر مثلُها. وكان كلما دخل عليها زكريَّا المحرابَ وجد عندها الفاكهةَ الفاخرة، فيقول لها:

- يا مريم، مِنْ أَينَ لكِ هذا، ما خرجتِ أو تركتِ مكانَك؟

فتقول له: هُوَ مِن عندِ اللّه، إِنَّ اللّه يرزقُ من يشاءُ بغير حساب.

كان زكريا نبيا، وكان يعرفُ أنَّ الملائكة تزورُ الصَّالِحين، فكانَ يصدِّقُها.

وجاءَت الملائكة إلى مريم وقالت لها:

- يا مريم، إِنَّ اللّه اختارك مِن بين النساءِ لِتأْتي بولدٍ عظيم. وسيكونُ هذا الولدُ نبيًّا شريفا، يُكلِّم

الناسَ وهو فى مهده ، ويدعوهم إلى عبادةِ اللّـه وحدَه لا شريكَ له . يا مريمُ أكثِرى من العبادةِ والركوعِ والسُّجودِ لِتَسْتَحِقِّى هذه الكرامة والنعمة .

فقالت مريمُ وهى تنظرُ إلى السماء :

ـ ربِّ ، كيفَ يكون لى ولدٌ وليس لى زوج ؟

فقالت لها الملائكة :

ـ إنَّ اللّه قادر ، يخْلقُ ما يشاءُ ، إذا قَضَى أَمْرا ، فإِنَّما يقولُ له كُنْ فَيكُون .

٤

كانت مريمُ تعبدُ اللّه الليلَ والنهار ، وما كانت تتركُ المسجدَ إلا لضرورة ، وفى يوم خرجتْ مريمُ لقضاء ضرورة ، وانفردت وحدها شرقىَّ بيتِ المقدس ، وفيما هى وحيدة ، إِذ وجدتْ أَمامَها رجلا ، ففزِعتْ منه ، وقالت له :

- إنِّى أعوذُ بالرحمن منك ، من أنت ؟

فقال له الرجل :

- أنا رسولُ ربِّك ، ولستُ ببَشر ، ولكنى مَلَكٌ بعثنى اللّه إلَيك لأَهَبَ لك غلامًا زكيا .

فقالت مريم :

- كيف يكون لى ولد ، وليس لى زوج ، وأنا شريفة طاهرة؟

فقال المَلَك :

- لقد وَعَدَ ربُّكِ أن يُعطِيَكِ غلامًا مِن غَيرِ زوج ، وهو عليه هَيِّن ، فإنه على ما يشاءُ قدير .

إنَّ اللّه سَيَجْعَلُه علامةً ودليلا على كمال قُدْرته ، فإنّه خَلَقَ آدمَ من غير أبَوين ، وسَيَخلُق ابنَكِ من غير أَب .

٥

اعتَزَلَت مريـمُ النـاس ، فلمـا شعرَتْ بـآلام الوضـع ذهبتْ إلى جذْعِ نَخلة ، وأَسندَت ظهرهـا إليـه ، وهـى تَتَخيَّلُ ما سَيقولُه الناسُ عنها عندما تعـودُ إليهـم وعلـى يديها طفل ، مع أنها كانت معروفـةً عندهـم بأَنهـا مـن العابدات الصالحات .

« قـالت : يـا ليتَنـى مِـتُّ قبـلَ هـذا ، وكنـتُ نَسْـيًا مَنْسِيًّا » .

عندئِذ سمِعت صَوتَ الطفل المولودِ يتحدَّثُ ويناديهـا من تحتها :

ــ لا تَحْزَنى .

دهِشَتْ مريم وتَلَفَّتتْ ذات اليمين وذاتَ الشِّمال ، فلَمْ تَجِد بجوارِها أَحدًا ، فعلِمَتْ أَنَّهُ الطِّفل الذى وَلَدتْهُ حديثا . واستمَرَّ الطِّفل يقول :

« فهُزِّى إليكِ بجِذْعِ النّخْلَة تُساقِطْ عليكِ رُطَبًا جَنِيّا ، فكُلِى واشرَبى وقَرِّى عَيْنا ، فإمَّا تَرَيِنَّ من البشرِ أَحدًا فقولى : إنّى نَذَرْتُ للرحمن صَومًا فلنْ أُكلِّمَ اليومَ إنسيّا » .

٦

قامت مريمُ وحملتْ ابنها ، وسارتْ حتى وصلتْ حيث كان الناس ، فلما رأوْها تحملُ عيسى ، غضِبُوا وحزِنُوا وقالوا لها :

ـ يا مريم ، لقدْ فَعَلتِ أمرًا عظيمًا مُنْكَرًا ، وما كنّا نظنُّ أن تَفْعَلى ذلك ، لأنَّ أباكِ كان رجلا صالحا ، ولأَن أُمَّكِ لم تكنْ امرأةً سيئة ، وكنتِ فتاةً عابدة ، فما كنّا نظنُّ أنْ يَحْدُثَ هذا منك .

فأشارَتْ إليه ـ ولْم تفتحْ فمها بكلمة .

« قالوا : كيفَ نُكلّمُ مَنْ كانَ فى الْمَهْدِ صَبيًّا ؟ »
هَلْ تَسْخَرينَ مِنّا يا مريم ، وتَسْتَهْزِئينَ بنا ؟

ونظر الناسُ بعضُهم إلى بَعْضٍ يَتغامَزون . وإذا بالطِّفْلِ يُفاجئُهُم بالكلام .

« قال : إنِّى عبْدُ اللَّه ، آتانِىَ الكِتابَ وجَعَلَنى نبيًّا . وجعلنى مُبارَكا أينما كنتُ وأَوْصانِى بالصَّلاةِ والزّكاةِ ما دمت حيّا . وبرًّا بوالِدتى ولم يجعلْنى جبَّارًا شقيّا ، والسَّلام علىَّ يومَ وُلدتُ ويومَ أَموتُ ، ويومَ أُبعَثُ حيّا » .

٧

كَبِرَ عيسَى وصارَ يلْعَبُ معَ الأَولاد ، وكان يقولُ لأَحَدِهم:

ـ تريدُ أَن أُخبرَكَ ما خبَّأتْ لكَ أُمُّك ؟

فيقول الصبى : نعم .

فيقول له عيسى : خبَّأتْ لك أُمُّك تُفّاحا .

ويذهبُ الولدُ إلى أُمِّه ويقولُ لها :

ـ أُريدُ أنْ آكلَ ما خبَّأتِ لى .

فتقول له الأُم : وأىَّ شىءٍ خبَّأْتُ لك ؟

فيقول الولد : تفاح .

فتقولُ له الأُم وهى تَعْجَب :

ـ مَنْ أَخبرَك ، ولَمْ يكُنْ معى أحد فى البيت ، لما خبَّأتُ لك التفاح .

فيقول لها الصَّبى : أخبرَنى عيسى بنُ مريم .

واستمرَّ عيسى بنُ مريمُ يُخبرُ الأَولادَ بِما خبَّأتْ لهم أُمهاتُهم ، والأَولادُ يجدونَ ما يخبرهُم به عيسى ، فأحبَّه الأَولاد ، وتعجَّبت الأُمهاتُ مِن مقدرتِه على معرفةِ الْغَيْب .

٨

وأمرَ اللّه عيسى أنْ يدعوَ الناسَ إلى عبادةِ اللّه وحدَه لا شريكَ لـه . فخرجَ عيسى إلى بنى إسرائيل وقال لهم :

ـ إنى رسولُ اللّه إليكم ، أَدعوكم إلى طاعةِ اللّه الواحِد ، والعملِ الصّالح ، وترْكِ الأَعمال الرديئة والمعاصى التى تُغضبُ اللّه .

فلم يَسمعوا لَه وهزأُوا منْ قولِه ، فقال لهم :

ـ إنى جئتكم بمُعجزةٍ من ربّكم .

فقالوا له : وما هذه المعجزة ؟

قال لهم : « أَخلقُ لكم من الطّين كهيئةِ الطّيْر ، فأنفخُ فيه فيكونُ طيرًا بإذن اللّه ، وأُبرِئُ الأَكمَهَ والأَبرَصَ وأُحْيِى الموْتَى بإذنِ اللّه ، وأُنبّئكُم بما تأكلونَ وما تَدّخِرونَ فى بيوتكُم » .

فارتفعت أصواتُ بنى إسرائيل :

ـ يا عيسى ، لا تستطيعُ أنْ تفعلَ ذلك .

فقال لهم : وإن فَعَلْتُه تُؤْمِنوا بى وتصدِّقُونى ؟

فارتفعتْ أَصواتُ الناس : نعم نُصَدِّقُك .

فأخذَ عيسى قطعةً من الطِّين وجعلَها على شكلِ الطَّيْر ، ثم نفخَ فى الطِّين فدبَّت الرُّوحُ فيه ، وطار .

فصاح صائح : هذا سحر ، إنَّه ساحر .

وقال آخر :

ـ أرنا يا عيسى كيفَ تردُّ البصرَ إلى الأعمَى .

وتقدم رجلٌ أعمى إلى عيسى ، فمرَّرَ يَدَهُ على عيْنيه ، ففتحَ الرجلُ عينيه ، ورأى النورَ ورأى الناسَ الذين حوله . ولكنَّ بنى إسرائيلَ لم يُؤْمِنوا بعيسى ولم يتَّبعوه بل صاحوا :

ـ لنْ نُصدِّقكَ حتى تُحْيىَ الموتى .

وذهب عيسى إلى قبر ، وأَمرَ الميت أَنْ يقوم بإذنِ اللّه ، فقام الميتُ وخرجَ من القبْرِ وهو ينفضُ رأْسَه من التُّراب ، وانتظر عيسى أن يصدِّقَه بنو إسرائيل ويؤمنوا باللّه الذى أرسله ، ولكنّهم قالوا :

ـ إنّك سحَرْتنا ، ولنْ نصدِّقَك أَبدا .

وانصرفوا من حوله وتركوه وحيدا .

٩

لمْ ييئس عيسى من بنى إسرائيل . وعاد إليهم يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده ، فقال لهم :

ـ يا بنى إسرائيل إنى رسولُ اللّه إليكم ، مُصدِّقا لما بَيْنَ يدىَّ من التوراة ، ومُبَشِّرًا برسولٍ مِن بَعْدِى اسْمهُ أحمد .

فقال له رجلٌ مستهزئا :

ـ يا عيسى ماذا أَدَّخِرَ فى بَيْتى ؟

فقال له عيسى :

ـ تدَّخِر فى بيتك كذا وكذا .

وذكر له ما يدَّخرهُ فى بيته ، فسكت الرجلُ ولم يتكلم ؛ لأَنه وجد أَن ما قاله عيسى صحيح .

وجاءَ العمْيانُ والمرضى إلى عيسَى جماعات جماعات ، فكان يرُدُّ إلَى العمْيان أَبصارهم ، ويَشفى الْمَرْضى من أَمراضِهم ، ومع أَنه كانَ يفعلُ هذه المعجزات ، لم يصدِّقه بنو إِسرائيل ، فقال لهم :

« جئتكم بآيةٍ من ربِّكم ، فاتّقوا اللّه وأَطيعون . إِنَّ اللّه ربى وربُّكم فاعْبُدوه ، هذا صراطٌ مستقيم » .

فقال الناس :

ـ هذا سِحر ، لنْ نصدقك أبدا .

قال عيسى :

« مَنْ أَنصارِى إلى اللّه » ؟ « قال الحَوارِيُّون : نحنُ

أَنصارُ اللّه ، آمَنّا باللّه ، واشهدْ بأَنّا مُسْلِمون » .

ورفعوا أَبصارَهم إلى السَّماءِ وقالوا :

« ربَّنا آمَنّا بما أَنْزَلْت ، واتّبَعْنا الرسول ، فاكتبْنا معَ الشَّاهِدين » .

١٠

وفى ذات يوم ، أَمرَ عيسى الحَوَاريِّين بالصِّيام ، فلما أَتَمُّوا مدَّتَه قالوا : « يا عيسَى بنَ مريم ، هل يَسْتَطيعُ ربُّكَ أَنْ يُنزِّل علينا مائدةً منَ السماءِ » .

« قال : اتّقُوا اللّه إنْ كنتم مُؤْمِنين » .

« قالوا : نُريدُ أَن نأْكُلَ مِنْها ، وتَطْمَئِنَّ قلوبُنا ، ونَعْلَمَ أَنْ قدْ صدَقْتَنا ، ونكونَ عليْها مِنَ الشَّاهِدين » .

فقام عيسى ، وسأَل اللّه فى خُشوع :

« ربَّنا أنزِل علينا مائدةً من السماءِ تكون لنا عيدًا

لأَوَّلِنا وآخرِنا ، وآيةً منك وارْزُقْنا وأَنتَ خيْرُ الرَّازِقين» .

« قال اللّه إنى مُنزلُها عليكم ، فمن يكفرْ بَعْدُ منكم ، فإنى أُعذِّبُه عَذابًا لا أُعذِّبه أَحدًا من العالَمين» .

١١

خرجَ عيسى بن مريم والحَوارِيُّونَ حولَه ، فلما رآه اليهودُ قالوا : جاءَ السَّاحرُ ابنُ السَّاحِرة .

فقال لهم عيسى :

ـ يا قوم ، إِنِّى رسولُ اللّه إِليكم ، فصدِّقونى .

فشتموه ، وقذفوه بالحجارة ، فقال لهم :

ـ يا معاشرِ اليهود ، إِن اللّه يكرهُكم .

فقال قائل منهم :

ـ اقتلوا هـذا الساحر ، اقتلوه تَسْتَريحوا منه ، إِنه

يَسُبُّكم كلَّ يومٍ ويَشْتُمكُم ، وَهو يريد أَنْ يُفَرِّق بينكم .

فارتفعت أَصواتُ الناس :

ـ اقتلوه . اقتلوه .

فأَخذَه الحوارِيُّون ودخلوا بيْتًا من بيُوتِهم ، وأَغلقوا الباب خَلْفَهُم واستمرَّ بنو إسرائيل فى هِياجهم يتحدَّثون عن قتلِه ، وهجموا على باب البيت وكسروه ، ودخلوا يصيحون فى غضب :

ـ اقْتُلوا هذا الساحر ، اقتلوا من جاءَ يخدعُ ضعفاءَكم ، ويفرِّقُ بينكم .

وأَمسكوا أَحدَ أَصحابه وهمْ يحسبون أنه عيسى بنُ مريم ، ويصيحون فى ثورة .

ـ اصلبُوه ، اصلبُوا عيسى ابنَ السَّاحِرة .

وأَخذوه وناسٌ كثيرون يسيرون حوله يَشتمُونُه

وَيَشتمون أُمه ، وَجاءُوا بخشبةٍ وصلبوه عليها ، وأَخذوا يقذْفونه بالحجارةِ والدَّمُ يسيلُ منه ، وبقى المصلوبُ يتعذّب حتى مات ، وانصرف بنو إِسرائيل وهم يَحْسُبون أَنهم صلبوا عيسى بنَ مريم . وما قتلُوهُ وما صَلبوهُ ولكنْ شُبِّه لهم .

١٢

ترَكَ عيسى جُموعَ بنى إسرائيل الثّائرة الكافرة ، وسار وحده يفكّر فى بنى إِسرائيلَ الذين يَقْتُلون أَنبياءَهم ويَكذّبونهم، وفيما هو سائرٌ يُفكّر إِذ قال اللّه له :

« يا عيسى ، إِنى مُتَوفِّيكَ وَرافِعُكَ إلىّ ، ومُطَهِّرُكَ مِنَ الّذين كَفَروا ، وجاعِلُ الّذينَ اتّبَعُوكَ فوقَ الّذين كَفروا إِلى يوم القيامة، ثم إِلىّ مَرْجِعُكم ، فأَحْكُم بَيْنكُم فيما كنتم فيهِ تخْتَلِفون » .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

أهل الكهف

عبد الحميد جودة السحار

١٧

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

أهل الكهف

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

كان النّاسُ يستعدُّونَ للذّهابِ إلى المَعبدِ فى يوم العيد ، فوقَفُوا فى الطريق ينتظرون موكِبَ المَلِك ..

وجاءَ الملكُ فى عَرَبةٍ فخْمة ، تجرُّها خُيول ، عليها الزِّينةُ من الذّهَبِ والفِضّة ، وكان معه فتْيانٌ من أبناءِ العُظماء . ولما رآه الناسُ ركعُوا له ، وسارت عربته بين الناس الراكعين ، حتى وصلت إلى المعبد . وهناك نزل هو وأبناءُ العظماء .

وكان فى المعبد أصنام ، وهى تماثيلُ من الحجَرِ صُنِعتْ على شكلِ إنسان ، فلما وصل الملِكُ إليها سجدَ لها فى احترام ، وسجَد لها الفِتْية ، ولكن أَحدَهم لم يسجدْ لها ، وظهر عليه أنه لا يحترمُها . ولاحظ الشُّبان أبناءُ العظماءِ أنه لم يسجد معهم ، أمّا

الملك فلم يَلحظْ ذلك ، لأنه كان مشغولا بعبادةِ التماثيل .

وانتهى الملكُ من عبادته ، وعاد فى عربتِه إلى قصرِه ومعه الفِتْيَة ، وسارتِ العربةُ بين الناس الراكعين على جانبى الطريق ، حتى إذا أُقْفِل بابُ القصر ، سُمِحَ للناس بالدخولِ إلى المعبد لعبادةِ الأصنام ، لأَنه لم يكن مسموحا لهم بالعبادةِ مع الملك

وجاءَ الليل ، وخرج الفِتيانُ من القصرِ ليذهبوا إلى بيوتهم ، ولكنّهم لم يتفرقوا إلى بيوتهم ، بل التفُّوا حول الشابِّ الذى لم يسجدْ للأَصنام ، وقالوا له :

ـ نريد أَنْ نحدِّثَك الليلة وتُحَدِّثَنا .

فقال لهم : ـ تعالَوْا إلى دارى .

فذهبوا معه إلى دارِه ، وقالوا له :

ـ لماذا لم تسجدْ اليومَ للإلَه ؟

فقال لهم :

ـ إنّى فكرتُ في هذا الإلَه ، فوجدتُ أَنه تمثالٌ مِنَ الحجَرِ لا يسمعُ ولا يَرى ، ولا ينفعُ ولا يضرّ ، فوجدتُ أنه من الجنون أَن أسجدَ لحجر .

فقال له أَحدهم : ـ أَكفرتَ بآلِهَتِنا ؟

فقال الشاب :

ـ كفرتُ بهذه الحجارة الخُرْس ، وخرجت إلى الفضاء ، ورفعتُ عيْنيَّ إلى السَّماء ، وسأَلتُ نفْسى : مَنْ رفَعَ هذه السماءَ ، ومَنْ خَلَقَ فيها شمسَها وقمرَها ، ومنْ زيَّنها بالنجوم ؟ ونظرت إلى الأَرضِ وسأَلتُ نفسى : من سطحها ؟ ومن أَنْبَتَ الْحَبَّ والعُشْبَ والبَقْلَ والأَشجار فيها ؟ ومن أَجْرَى الأَنهار ، وخلَق الْجِبال ؟ ثم اهتديتُ إلى أَنَّ الّذى

خَلَق هذه الأشياءَ ، لا بدَّ أَنْ يكونَ أَكبرَ منها ، وأَنَّهُ قُوَّةٌ عظيمةٌ لا نَراها ، فتوجَّهتُ إِلى هذه الْقُوَّةِ أَعْبُدُها .

فسكت الشُّبَّانُ قليلا ، ثم قال أَحدُهم :

ـ إِنَّنِى أَنا أيضا عرَفتُ أَنَّ هذه الحجارةَ التى يَعبدُها قومُنا لا قيمةَ لها ، لأَننى رأَيتُ الناسَ يَنْحِتُونها بأَيديهم ، ثم يَنْصِبُونها فى الْمعْبَد ويسجدون لها ، وفكَّرْتُ فى نفسى ، فوجدتُ أَنَّنى كنتُ جَنينًا فى بَطنِ أُمِّى ، ثم أَصْبَحْتُ صغيرًا آكلُ وأَشرب ، وأَسمعُ وأَرى ، ثم صِرت شابًّا وكبِرَ عقلى ، فصرتُ أُمَيِّزُ النافعَ من الضَّار ، وفكرْت فيمن خلقنى ، فاهتديتُ إلى أَنَّ من خلقنى لا بدَّ أَن يكون عظيمًا قادرا ، فأَخذتُ أَعبدُه وأُصلِّى له ،

وأَتوجَّهُ إِليه فى دُعائى .

استمرَّ الشُّبانُ يتحدثون حتى آمنوا جميعا وقالوا :

« ربُّنا ربُّ السَّمَواتِ والأَرض ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دونِه إِلَهًا ، لقدْ قُلْنا إِذًا شَطَطا » .

٢

صارَ الفِتْيانُ يَجتمعون كلَّ ليلةٍ فى بيتِ أَحدِهم ، يُصَلُّون لله ويعبدُونه ، وفى ذاتِ ليلة دخل عليهم أَحدُ أَعوانِ الملك ، فرآهم فى صَلاتِهم ، فسأَلَهم عمَّا يفعلون ، فقالوا له :

ـ إِنَّ قومَنا يعبدونَ حجارة ، ونحن نعبدُ اللّه الذى خَلق السماءَ والأَرضَ وما بَيْنَهُما ، فاتركْ دينَ قومِك ، وادخلْ فى ديننا القويم .

فقال لهم الرجل :

- إنى وجدْتُ آبائى على هذا الدِّين ، ولا أَستطيعُ أَن أَترِكَ ما وجدتُ آبائى عليه .

فاستمر الفِتْيانُ يحاولونَ أَنْ يَدخُلَ الرجلُ فى دينهِم ، ولكنَّه لم يقبلْ ، وتركهُم وذهب إلى الملك . فلما دخلَ عليه ، أَخبرَه أَن الفِتْيان الذين يلتفُّون حولَه قد تركوا دينَه ، ودخلوا فى دينٍ جديد ، فغضبَ الملك ، وعزمَ على أَنْ يذهبَ إليهم ليعذِّبَهم ، لتَرْكِهم دينَه .

علِمَ الفِتْيانُ أَنَّ الرجل سيذهبُ إلى الملك يشكوهم ..وأَنَّ الملِكَ سيغضَبُ عليهم ، ويَقْبضُ عليهم ليعذِّبَهم أو يقتلهم ، فتشاوروا فى الأَمر ، فرأَوْا أَن يهرُبوا من بلد الملك .

ركب الفِتْيَة خيولَهم ، وساروا حتى خرجُوا منَ المدينة ، ثم تركوا خيولَهم ، ومَشَوْا على أَرجُلِهم ،

فمرُّوا على صديق لهم فى حقلِه ، وكانَ يعرفُ ديانتَهم ، ويعبدُ اللّه مِثلَهم ، فقال لهم :

ـ إلى أين أنتُم ذاهبون ؟

فقالوا له :

ـ علِم الملِكُ أنّنا تركْنا دينَه ، ولا بدَّ أنّه الآن يبحث عنا ليقتلَنا ، فهربْنا منه .

فقال الشاب :

ـ إنّى ذاهب معكم .

وانضمَّ الشّابُّ إليهم ، وسارَ معهم ، وتبعَه كلبُه ، واستمرُّوا فى سَيْرِهم حتى جاءَ الليل ، فبحثوا عن مكان يَبيتُون فيه ، فوجدُوا فى الجبلِ كهْفا ، فذهبوا إليه والكلبُ خلْفَهم ، فقال أَحدُهم .

ـ إننا نخافُ أَن يفضحنا هذا الكلبُ بنُباحِه .

فطردوه ، ولكنه عاد إليهم ، فقال صاحبه :

ـ دعوه يحرسْنا من عَدُوِّنا .

ودخلوا الغارَ وناموا ، ونام الكلبُ على باب الغار ، وبسط ذراعيه .

٣

خرج الملكُ فى حَرَسِه وجنودِه ، يبحثُ عنِ الفِتيان الذين تركوا دينه ، ودخلوا فى دينٍ آخر ، حتى اهتدى إِلى الكهفِ الذى لجأُوا إليه ، فنظرَ فوجد الشمسَ تمرُّ على باب الكهف ، فلا تدخُلُهُ أَشِعَّتُها ، ويبقى مظلما كما كان ، فاستغربَ وأَحسَّ بخوف ، فأَمرَ رجالَه بالدخول ، فأَحسُّوا بالرعب ، ولم يستطع أَحدٌ منهم أَن يدخل . وقال أَحدهم للملك :

ـ إِنك تريدُ أَن تقتلَهم .

فقال الملك :

ـ نعم .

فقال الرجل :

ـ سُدَّ عليهم باب الكهف ، واترُكْهم فيه يموتُون عطَشًا وجوعا . فأُعجِب الملِك بالفكرة ، وأَمر ببناءِ باب الكهف . وقال في سخرية :

ـ إنْ كان لهم إلهٌ غيرُ آلهتِنا فلْيُخرجْهم من هذا الكهف !

٤

استيقظ الفتيانُ من نومهم ، فوجد كلٌّ منهم جسمَه موجوعا من النّومِ ، وسأَل أحدهم : كم مكَثْنا في هذا الكهف ؟

فقالوا له : مكثْنا يومًا أَو بعضَ يوم .

وشعروا بالجوعِ فقالوا : إِننا جِياع .

فقال أَحدهم :

ـ أَذهبُ فأَشترى لكم طعاما من السوق .

ـ قد يعثرُ عليك الملك ، ويَقْبضُ عليك .

ـ سأَذهبُ دونَ أَن يُحسَّ بى أَحد .

وقام الشابُّ ، فلما مر ببابِ الكهف رأَى حجارة مبنية ، ولم يجد إِلاَّ فتحةً صغيرةً يدخلُ منها النور ، فنَقَض الحجارةَ وخرج ، وسار فى الطريق وهُو يتلفّت ، خوفًا أَن يقابلَه أَحد رجال الملك ، فيقبض عليه .

ولكنه رأَى الطريقَ يختلفُ عن الطّريق الذى سـ فيه ، ومر بمواضعَ لم يكنْ يعرفُها ، ووصل إِلى بار المدينة ، فوجده يختلفُ عن الباب الذى يعرفه ، ففر عَيْنيه ، وضرب رأْسَه بيده ، فقد حسب أَنه يحلُم

وتلفّت حولَه وهـو يَعْجَب فـى نفسـه كيـف تغـيرتْ الدنيا فى ليلةٍ واحدة .

ومرّ علـى الحَوانيـت فوجدَهـا غـير التـى يعرفُهـا ، ونظر فى وجوه النـاس ، فلـم يعـرفْ أحـد . ووقَـفَ يُفكّرُ فيما جرى ، فلم يهتد إلى شىءٍ .

وأَخـرج قطعـةَ نقـودٍ فِضِّيَـة ، وذهـــب إلى خبّــاز وأَعطاهُ إياها ، وطلــب منـه أَن يُعطِيَـه خـبزا ، فـأَخذ الخباز قطعةَ النقود ، وجعل يقلّبها فــى حَيْرة ، فقـال الشابّ :

ـ ماذا جرى ؟

ـ هذه القطعة الفِضّية !

ـ ماذا بها ؟ قطعة من النقود عليها صورة الملك .

فقال الخباز : صورةُ أَىِّ مِلك ؟

ـــ ملـكُ هـذه البـلاد ، إن هـذه القطعـةَ اشْـتَرَيتُ

بمثلها طعاما بالأَمس .

ـ لا بدَّ أَنك قد وجدتَ كَنزا ، فهذه قطعة نقودٍ قديمةٍ جدا ، وليستْ من نقودِ هذا الزمان .

ـ إِننى لم أَتركْ هذه المدينة إِلا أَمس .

فقال له الخباز :

ـ لا تسْخَرْ منِّى ، ولن أَتركك ، سأُسْلِمُك للشُّرْطِيِّ ليُسْلِمك للمِلك .

فقال الشابّ :

ـ إِن الملك سيقتُلنى ، لأَننى تركت دينَه ، تركت عبادةَ الأَصنام ، وعبدتُ اللّه وحدَه لا شريكَ له .

فقال الخباز :

ـ لا تحاول أَن تخْدَعَنى . إِننا لا نعبدُ الأَصنام ، وإِن ملكنا لا يقتلُ الذين يعبدون اللّه .

ثم نادى الشرْطىّ ، وأَراه قطعة النقود ، فنظر

الشرطيُّ إلى الشابِّ ، وقال له : هيَّا معى إلى الملـك ، لأنَّ هذه نقودٌ أثرية ، ولا بدَّ من تسـليمها للملـك . وسار الشـاب وهـو مبهـوتٌ إلى قصـرِ الملِـك ، فلمـا دخلَ وجدَ ملِكا آخرَ لا يُشبهُ الملك الذى هربوا منـه ، وكان الملك عادلا ، فقال :

ـ ما قصة هذا الفتى ؟

فقال الشرطى : لقدْ وجدَ كَنْزا !

فقال الشابّ :

ـ أَنا من أهل هـذه المدينـة ، ولم أَجـدْ كـنزا فهـذه نقودى .

فقال له الملك :

ـ اذكر أَسماءَ من تعرفهم من هذه المدينة .

فراح الشاب يذكر أَسماءَ من يعرفهم ، فلم يعرفـوا منهم رجلا واحدا .

فقال الشاب :

ـ خرجتُ بالأمسِ هاربا من الملك دقْيانُوس .

فقال الملك فى عجب :

ـ الملك دِقْيانُوس ؟ لقد ماتَ من أكثر من ثلاثمائةِ سنة .

فقال الشابّ :

ـ أكثر من ثلاثمائة سنة ! إننى تركتُه بالأمسِ فقط .

فقال الملك : هذا غير معقول .

فأخرج الشابّ النقود التى معه ، وقدمها إلى الملك ، وقال :

ـ هذه النقود عليها رسْمُه ، وقد اشتريتُ بها بالأمس طعاما .

فأخذ الملك النقود ، وراح يقلبها بين يديْه

ويقول :

ـ إن أَمرَك عجيب ، هذا النقدُ من ثلاثمائة سنة !

فقال الشابّ :

ـ وهل نِمنا فى الكهفِ ثلاثمائة سنة ؟!

فقال الملك : نِمتم ؟ مَنِ الذين ناموا .

فقال الشابّ :

ـ أَنا وأَصحابى الذين فرُّوا من الملك دِقْيانُوس .

فقال الملك :

ـ إِننى لا أَستطيع أَن أُصدِّقَ ما تقول ؟

ـ إِذا كنت لا تصدِّقُنى ، تعال واسأَل أَصحابى .

وركبَ الملكُ ورجالُه ، وركبَ الشابُّ معَهم ، وساروا ، فلما اقتربوا من الكهف ، قال الشابُّ للملك ومَن معه :

ـ يا قوم ، إِنى أَخافُ أَنَّ أصحابى يُحِسُّونَ وَقعَ

أَرجل الخيل ، فيظنونَ أَنَّ دِقْيانوس جاءَ يطلُبُهم ، فيموتون من الخوف ، فقِفوا قليلا حتى أَدخلَ إِليهم وأُخبِرَهم الخبر .

فوقفَ الملكُ ومنْ مَعه ، وذهبَ الشابُّ إِلى أَصحابه، فلما رَأَوْه قالوا له :

ـ الحمدُ لله الذى أَنقذك مِنْ دِقيانوس .

فقال الشابّ :

ـ دعونا من دِقيانوس ، كم مكثْتم فى الكهف ؟

قالوا : لَبِثْنا يومًا أَو بعضَ يَوم .

قال :

ـ بل لَبِثْتُمْ ثلاثَمائة سنة وتسع سنوات ، وقد مرّت عليكُم تلك السنونُ وأَنتم نيام ، وقد ماتَ دِقيانوس وتغيَّرتِ الدُّنيا ، وأَصبحتْ غيرَ الدُّنيا .

عنْدَ ذلك أَحسَّ الفِتيانُ بالنوم فناموا ، وانتظر

المَلِك ، وطال انتظاره ، ثم ذهبَ يبحثُ عن الشّابّ ، فوجدَه وأَصحابَه قد ماتوا .

فقال الملك :

ـ سبحانَ اللّه ! هذه معجزةٌ عظيمة ، وقد أرانا اللّه أَنّه قادرٌ على أَن يُحْييَ هؤلاء الشبان بعد أَكثرَ من ثلاثمائة سنة ، وهو قادرٌ على أَن يُحييَ الناسَ جميعا بعد أَنْ يكونوا ترابا .

« قال الذين غَلبُوا على أَمرهم : لَنتخذَنَّ عليهمْ مَسْجدا » .

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

قدرة الله

١٨

عبد الحميد جودة السحار

القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

قدرة الله

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

مرَّ رجلٌ من الصَّالِحينَ من بنى إسرائيلَ على قَرْيةٍ مُخَرَّبَة ، ليسَ فيها أحدٌ حىّ ، لا من الناس ، ولا منَ الحيوان .. فقال : كيفَ يُحْيِي اللّه هذه القريةَ بعدَ موتِها ؟

عندئذٍ أماتَه اللّه ، وأماتَ حِمارَه الذى كانَ يَرْكَبُه ، وظلَّ الرَّجلُ ميِّتًا هو وحماره مائةَ سنة .

ثم أحياهُ اللّه وسأَلَه : كمْ من الزَّمَنِ لَبِثْتَ هُنا ؟

قال : يومًا أو بعضَ يوْم .

قال له اللّه : بل لبِثْتَ مائةَ عام .. ومع ذلك فإنَّ طَعامَك الذى كانَ معَك وشرابَك لم يَفْسُدْ ولم يتعفَّنْ . ولكى تتيَقَّنَ أنَّ لك مائةَ سنة ، انْظُرْ إلى حِمارِك .

ونظر الرجلُ إلى حماره ، فرآه عِظامًا بالية .

قال له اللّه : الآن سأُحْيِي لك هذا الْحِمارَ . فانظرْ كيفَ تَدِبُّ الحياةُ في هــذهِ العِظـام ، وكيـف تُكْسَـى باللّحم ، وقد أحْيَيتُـك بعـدَ موتِـك ، لتكـونَ علامـةً للناسِ على قُدْرَةِ اللّه .

واستمرَّ الرجلُ ينظرُ إلى الحمار والحياةُ تَعودُ إليــه ، وعظْمُهُ يُكْسَى باللّحم الحيّ ، متعجبا مــن صنـع اللّـه وقدرته ، حتى إذا نهـض الْحِمـارُ واقفـا كمـا كـان ، قال الرجـل : يـا ربّ ، أَعْلَـمُ أنـك علـى كـل شـيء قدير .

٢

كان قارونُ من قومِ موسى ، وقد أَعْطاهُ اللّه أموالا عظيمـة ، إلى حـدِّ أنَّ مفـاتيحَ الكُنـوزِ التـى يملِكُها لم تكنْ جماعةٌ قويةٌ من الرِّجالِ تستطيعُ حَمْلَها ونَقْلَها .

ولما رأىَ قارونُ أنّه يَملِكُ هذِه الأَموالَ العظيمة ، تكبَّر على قوْمِه وطغَى ، وصار رجُلاً ظالمًا لا يَخافُ اللَّه .

فقال له العقلاءُ من قومه : لا تغْتَرَّ بالدُّنْيا هَكذا ، واعْمَل أعمالا صالِحةً تَنْفَعْك عندَ اللَّه .

قال : هل تُريدُونَ منى ألا أتمّتعَ بمالى ؟

قالوا له : تَمَتّعْ ولا تنسَ نصيبَك من الدُّنْيا . ولكن تذكّرْ أنَّ اللَّه هو الذى أعطاكَ هذا المالَ كله ، لا لتتمتّعَ به وحدَك ، ولكن لِتعْمَلَ أعمالاً صالحة ، وتساعِدَ الفقراءَ والمرضَى ؛ وتكون رجُلا صالِحًا رحيمًا متواضعا .

قال لهم : لقد جمَعْتُ هذا المالَ بعقلى وعلمِى . فليسَ لأَحدٍ أن يُحاسِبَنى عليه ، أو يَطْلُبَ شيئًا منه .

وفى يوم لبسَ قارونُ ثيابه المزرْكَشة ، المزيَّنَة بالذّهبِ والجواهِر ، وركِبَ عربته التى تَجُرُّها الخيْلُ

العظيمة ، وخرج على قومِه فى زينَتِه .

« قال الذينَ يُريدُون الحياةَ الدنيا : يا ليتْ لنا مثلَ ما أُوتِىَ قارون ، إنّه لذو حظٍّ عظيم » .

ونَسُوا أنَّ قارون مع غِناه رجلٌ ظالمٌ مغْرور .

وقال المؤمنونَ باللّه : « ويْلَكم ! ثوابُ اللّه خيرٌ لمن آمنَ وعَمِل صالِحًا » . فلا تَتَمَنَّوا أنْ تكونوا مثلَ قارون ، ولكنْ تمَنَّوْا أن يُعطِيَكم اللّه من فَضْلِه فتعْمَلوا أعمالا طيبة صالحة ، وتَنْفَعوا الناسَ بأمْوالِكم ، ولا تَكْنِزُوها كما يَصْنَعُ قارون .

* * *

وباتَ الناسُ وأصْبَحُوا وإذا هُمْ يَجدُون قصرَ قارونَ مَدْكُوكًا غائصًا فى الأرض ، بكل ما فيه من مخازِن المال ، ومن الفِراشِ الغالى ، والأوانىّ المُذْهَبة ، وأدواتِ الزينةَ والجواهِر .. وكلُّ ما فيهِ

ومن فيه .

عند ذلك وقف الذينَ كانوا يتمنّون أن يُصْبِحُوا مثلَه يقولون :

ـ لقد تمنّيْنا أنْ نكونَ مثلَ قارون . فأيْنَ هو قارون؟ لقد خَسَفَ اللّه به الأَرض ، وبقصرِهِ وأموالِه وجواهِرِه . فالحمدُ لله أنّنا لم نَكُنْ مِثْلَه . وإلا خَسَفَ اللّه بنا الأرضَ مثْلَه . إن اللّه لا يحبُّ المتكبِّرين .

٣

كان لرجلٍ صالحٍ حديقةُ فاكهة ، وكان يَنْتَظِرُ حتى تُثْمِر ، وتَنْضَجَ ثِمارُها ، ثم يدعُوَ الفقراءَ إليها ، ويُقطِّعَ الثمارَ ويُعْطِيَهُم من كلِّ نوعٍ منها .

وكان اللّه يُبارِكُ لهُ فى حديقَتِه ، فتطرَحُ ثمرا كثيرا لذيذا . وكلّما زادَ ما يُعْطِيه الفقراءَ من الحديقة ، زادَ

ثمرُها فى السنةِ التالية .

وعاشَ الرَّجُلُ سعيدًا بهذَا العملِ الذى يَعْمَلُه حتى مات .

وورثَ الحديقةَ أبناءُ هذا الرجل ، فقالوا لأنْفُسِهم : لماذا نُعْطِى ثمارَ حديقَتِنا للفقراء ؟ إنها حديقَتُنا نحن لا حديقَتُهم . فمنذُ هَذا العام لن نُعْطِىَ من ثمارِها أحدا .

وكان فيهم ولدٌ عاقلٌ صالح ، فقال لهم : اتّقوا اللّه ولا تَقْطَعوا عادَةَ أبيكم الطيِّبة ، فإن اللّه يُعْطيكُم بدلَ ما تُعْطُونه الفُقَراء .

قال الباقون : لا يا سيدى ! فإنّ الذى يُعْطيه اللّه لنا هو حقُّنا نحن ، وليس حقَّ هؤلاء الناس الأجانب . فإذا أخَذُوا منه شيئا فإنَّ نصيبَنا يَنْقُص . واللّه لن نُعْطِىَ منها فى هذا العام أحدا .

وعندما جاء الليلُ أرسل اللّه على الحديقةِ عاصفَةً

مُحْرِقـة ، أحرَقَتْهـا وتركَتْهـا سـوداءَ كـالْفَحْم ، وأصحابُها لا يَعْلَمون .

أما هُمْ فـاتَّفَقُوا على أنْ يَذْهَبوا في وجْهِ الفَجْر لِيَقْطَعُوا الثِّمار ، ولا يُخْبِرُوا أحدًا من الفُقَراء والمساكين . وقُبيلَ الصُّبْحِ نادَى بعضُهم بعضًا سرًّا : تعالَوْا . تعالَوا . ومشَوْا على أطْرافِ أصابِعِهم حتى لا يُحِسَّ بهم أحد ، وكتَمُوا أنْفَاسَهم وهُمْ يَمْشُونَ سِرّا ، ووصَّى بعضُهم بعضًا بألا يتكلَّمَ أو يتنفسَ أو يَكُحَّ أو يَتَنَحْنَح ، حتى لا يُحِسَّ بهم أحد .

وفتحوا البابَ ودخلُوا ، ثم أغْلَقُوه عليْهم بهدوء .

وقالوا : الحمدُ لله لم يَشْعُرْ بنا أحدٌ من المساكين .

ولكنَّهمْ حينَ رأَوُا الأشجارَ وجَدوها مَحْروقةً مسوَدّة ، وليسَ فيها ثمر . قالوا : أوْهِ ! لقد ضلَلْنا وتُهْنا عن حديقَتِنا بسببِ الظَّلام . إن هذه ليست

حديقَتنا . فماذا نَصْنَع ؟

قال الولدُ الطيِّب : بل إنها حديقَتُكُم عَيْنُها ! وقد أحرَقَها اللّه لكُم لأنكُم أردْتُم حِرْمانَ المساكين منها .

فاسوَدَّت وجوهُهم من الْحُزْنِ والأَلم ، وراحَ كلُّ منْهُم يَلومُ أخاه ، ويقول له : أنتَ الذى أشرت علينا بهذِهِ الفكْرة الملعُونَة ، فيتبرَّأُ كُلٌّ واحدٍ من التُهْمَةِ ويقولُ للآخر : بل أنتَ فعلت .

وفى النهاية قال لَهم أخُوهُم الطيِّب : لا فائدةَ الآن من هَذا الكلام . استغفِروا ربَّكُم لعلّه يعفُو عنكم ويرحَمُكم .. « قالوا يا ويلنا ! إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يُبْدِلَنا خيرا منها ، إنّا إلى ربنا راغبون » .

٤

كانت قبيلَةُ سَبأ تَسْكُنُ فى بلادِ اليَمن ، حيثُ تَنْزل الأمطارُ الكثيرة ، وتَضيعُ بلا فائِدَة .

فأقاموا خزَّانًا ضَخْمًا للمياهِ بين جَبَليْن ، وأقاموا عليه السُّدُود ، ليَخْزُنُوا فيه مياهَ الأمطارِ حين تنزل ، ثم ينتَفِعُوا بها طولَ السَّنة .

وبذلك أصبَحَتْ هذه الجهةُ خِصْبَةً عظيمةَ العُمْران ، وامتَدَّتِ الحدائقُ عن اليمين وعن الشِّمال ، فيها من كل الثّمرات ، ومن كلِّ الأنواع ، سهلةُ الرىّ ، جميلة المنْظر .

ونشأتْ بلادٌ كثيرةٌ متقاربة ، يُسافِرُ إليها المسافِرون وهم مُطْمَئِنُّون ، لا يَعْتَدِى عليهم أحدٌ فى الطريق ، لأَن البلادَ قريب بعضها من بعض ، ومعمورة ، والمرورُ بينها متواصل ، فلا يستطيعُ

اللُّصوصُ وقُطَّاعُ الطريـق أن يُؤْذوا المـارَّة أو يعتـدُوا على أموالِهم .

وكانت هذه البلادُ متحضرة ، وغنية ، وراقية .

ولكـن النعمـةَ التـى كـان فيهـا هـؤلاءِ النـاسُ قـد جعَلَتْهُم ينْسَون أن يَشْكُروا اللّه عليهـا ، وأن يقْنَعـوا بهـا ويَرْضـوا ، فقـالوا : يـا ربّ ، إنّ هـذه البـلادَ المُتَقارِبَـةَ تحرِمنـا لـذّةَ السـفَرِ الطويـل ، ولـو كـانت متباعدةً لكان السفرُ بينهـا لذيـذا ومُمْتِعـا ! أمـا هـذا التقاربُ فهو مُمِلٌّ مُسئم .

قالوا هذا الكلامَ بـدلا مـن أن يشـكُروا اللّـه عا النِّعَمِ العظيمَةِ التى أعْطاهُمْ إياها ، فجازاهُم اللّه بـ حطَّمَ السُّدود التى تحجُزُ وراءَها مياهَ الخزانِ العظي فصـارت سُيُولا أغرَقَـتْ هـذه البـلاد ، كالطوفـا فهربَ الناسُ منها مفزوعـين ، وتفرَّقُـوا فـى الشـ

من بلادِ العرب ، وتحولت تلك المدنُ إلى جهاتٍ صَحْراوِيَّةٍ مُجْدِبَة ، لعدم وجودِ الماء . وبدلاً من أن تنْبُتَ فيها الحدائقُ والجناين المثمرة بأحلى الفواكِه ، صارت لا تُنْبتُ إلا أشجارا مُرَّةَ الثِّمار ، أو مملوءَة بالشَّوْكِ . وقليلاً من أشْجارِ النَّبْق .

وذلك جزاءُ من يَكْفُرُ بنِعْمة اللّه ، ولا يَشْكُرُه على ما أعْطاه .

٥

كان رجُلان صَديقَيْن ، وكان أَحدُهما غَنيًّا كبيرَ الثَّروَة ، وقد أَعطاهُ اللّه حديقَتَيْنِ كَبيرَتَيْن مِنْ كُرومِ العِنَب ، بينَهُما حقولٌ واسعة ، يُرْويها نهرٌ دائمُ الْجَريان .

وقد أَثْمَرَتِ الحديقتان ثمرًا جيِّدًا كاملا ، فكانت

عناقيدُ العنب تتدَلّى كأنها اللآلئ البرّاقة عندما تنعكِسُ أشعَّةُ الشَّمْسِ عليها ، وكان له كذلك أولادٌ كثيرون أصحاءُ الأجسام جَميلو الوجوه .

وفى يوم دَعا صاحِبَه ليرى الحدائقَ والْحُقول ، وليقضيَا معًا يوما سعيدا ، ونزهةً لطيفة . وبينما هُما يتنزهان بين الحديقتين ، تلفتَ الغَنىُّ إلى مزارعه الواسعة ، وامتلأ قلبُه إعجابا بها ، وامتلأت نفسُه غرورًا بهذا الثراء العظيم ؛ فنَسِىَ أنَّ اللّه هو الذى أَنْعَمَ عليه بهذه النِّعَمِ الجليلة ، وتحرَّك لسانُه .

« فقال لصاحِبه وهُو يحاوِرُه : أنا أكثرُ منْك مالاً وأعزُّ نَفَرا » (يعنى لى أهل أكثر من أهلك) . ثم دخلَ إحدى الحديقَتيْن فرأىَ الثّمارَ الناضِجَةَ فيها ، فانتفخَ ونفَشَ وأخذَه الغُرور . فقال : « ما أظنُّ أن تبيدَ هذه أبدًا » (ما أظنها أنها تهلِك أو تفنى » ،

« وما أظنُّ أن الساعةَ قائمة » (أى ما أظن أن القيامةَ ستقوم) ، « ولئنْ رُدِدْتُ إلى رَبِّى لأجدَنَّ خيرًا منها مُنْقَلَبا » (يعنى : حتى لو قامتِ القيامة ، فإن اللّه سيُعطينى أحسنَ من هذِه الحديقة ، لأننى غنىّ ، فلا بد أن اللّه سيعطينى بسبب غناى !) .

عند ذلك غضِبَ صاحِبه ـ وكان رجلاً مؤْمِنًا باللّه ، ويعتبر نفسه أحسنَ وأفضلَ من صاحِبه الغنىِّ الذى لا يعْرِفُ اللّه ـ غَضِبَ وقال لصاحبه :

ـ أكفرْتَ بالّذى خلقَك من تراب ، وهُوَ الذى جعلك فى بطْنِ أمِّك جنينًا ثم سوَّاكَ رجُلا ..

ثم قال له : أما أنا فإننى مؤْمِنٌ باللّه ولا أُشْرِكُ به أحدا ، وكان يجب عليك عندما رأيتَ حديقتَك ، أن تتذكَّرَ أن اللّه هو الذى أنعمَ بها عليك ، وأنا أقلُّ منكَ أولادًا وأموالا ، ولكنَّ أمَلى فى اللّه عظيم ، أن

يُعْطِيَنى خيرًا مـن جنّتـك . ومـا دُمْـتَ لم تشْـكرِ اللّـه على ما أعطاك فاللّـه سيأخذُ منـكَ نعمتـه ، ويُهلِـكُ هـذه الحدائـق والـزروع ، ولعلـه يُرْسـلُ عليهـا وبـاءً يُهْلِكُها أو يُصْبِحُ ماؤُها غوْرا فلن تستطيعَ له طَلَبا .

ولم تمضِ ليلةٌ حتى تحققَ ما قالَه الرَّجُلُ المُؤْمِن ، غارَ ماؤُها فى الأرضِ وجفَّ ، وسقطت الثمارُ ، ومـاتتِ الأشجار .

وذهبَ صاحِبُها المغترُّ لِيرَاها ، فسـقطَ قلبُـه ، وهـو ينظرُ إليها فيجدُها خرابـا ؛ ووقـفَ يُقَلِّـبُ كَفَّيْـهِ مـن الأسَفِ على ضَياعِ ما أنفقه فيها من مالٍ ومن تعب ، وهى محطمةٌ ذابلة . « ويقول : يا ليْتنى لم أُشركْ بِربِّى أحدا » .